قراءات معاصرة

لقضايا في التراث اللغوي والأدبي والبلاغي

بحوث محكمة في المؤتمر الدولي الثالث

(التراث اللغوي والأدبي في ضوء المناهج الحديثة)

١٤٤٠/٧/٧ هـ ٢٠١٩/٣/١٤ م

الباحثون

أ.د. محمد محمد العمري

أ.د. محمد صلاح الدين الشريف

د.حسن بن فهد الهويمل

أ.د. سعد عبدالعزيز مصلوح

أ.د. محمد بن عبدالرحمن الهدلق

أ.د. مصطفى أحمد غلفان

أ.د. عز الدين المجدوب

أ.د. محمد نجيب العمامي

أ.د.محي الدين محسب

أ.د.أبو أوس إبراهيم الشمسان

د. حمد بن عبدالعزيز السويلم

أ.د.إبراهيم بن منصور التركي

أ.د.حسن بن محمد النعمي

أ.د.محمد بن سعيد الغامدي

أ.د.أحمد يوسف علي

كلية اللغة العربية
والدراسات الاجتماعية
asc.qu.edu.sa

قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة القصيم

قراءات معاصرة

لقضايا في التراث اللغوي والأدبي والبلاغي

بحوث محكمة في المؤتمر الدولي الثالث

(التراث اللغوي والأدبي في ضوء المناهج الحديثة)

١٤٤٠/٧/٧ هـ ٢٠١٩/٣/١٤ م

الباحثون

أ.د. محمد محمد العمري
أ.د. محمد صلاح الدين الشريف
د. حسن بن فهد الهويمل
أ.د. سعد عبدالعزيز مصلوح
أ.د. محمد بن عبدالرحمن الهدلق
أ.د. مصطفى أحمد غلفان
أ.د. عز الدين المجدوب
أ.د. محمد نجيب العمامي

أ.د. محي الدين محسب
أ.د. أبو أوس إبراهيم الشمسان
د. حمد بن عبدالعزيز السويلم
أ.د. إبراهيم بن منصور التركي
أ.د. حسن بن محمد النعمي
أ.د. محمد بن سعيد الغامدي
أ.د. أحمد يوسف علي

كلية اللغة العربية
والدراسات الاجتماعية
asc.qu.edu.sa

قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة القصيم

ⓒ جامعة القصيم، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، ١٤٤٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

جامعة القصيم، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية

قراءات معاصرة لقضايا في التراث اللغوي والأدبي والبلاغي؛ بريدة، ١٤٤٠هـ

ص ٤٥٦ ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ١ - ٧٧ - ٨١٧٦ - ٦٠٣-٩٧٨

١- الأدب العربي - مؤتمرات ٢-اللغة العربية - مؤتمرات

٣- الأدب العربي - نقد مؤتمرات أ- العنوان

ديوي ٨١٠،٦٣ ١٤٤٠/٦٧٣٧

رقم الإيداع: ١٤٤٠/٦٧٣٧

ردمك: ١-٧٧-٨١٧٦-٦٠٣-٩٧٨

للتواصل:

كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية

asc@qu.edu.sa

قسم اللغة العربية وآدابها

quarabic@qu.edu.sa

بسم الله الرحمن الرحيم

فهارس البحوث

الفصل الأول: التراث اللغوي والأدبي وإشكالية التجديد		١١
التراث اللغوي العربي: أزمة كفاية أم أزمة تقادم	أ.د. محمد محمد العمري	١٣
فجوات في تجديد علوم العربية (التجديد النحوي نموذجاً)	أ.د. محمد بن سعيد الغامدي	٣٥
تنازع البقاء بين مناهج التراث والمعاصرة في النقد الحديث	د. حسن بن فهد الهويمل	٥١
التراث بين سلطة النموذج وخطاب التأويل	د. حمد بن عبدالعزيز السويلم	٨١
التراث والمعرفة والثقافة	أ.د. أحمد يوسف علي	٩٧
الفصل الثاني: قراءات معاصرة للتراث اللغوي		١١٩
التراث العربي واللسانيات الممكن والمستحيل	أ.د. مصطفى أحمد غلفان	١٢١
مفاهيم النحو العربي في ميزان مكتسبات النظرية اللسانية	أ.د. عز الدين المجدوب	١٧٣
قراءة اللسانيات العربية القديمة في ضوء المناهج اللسانية الحديثة	أ.د. محمد صلاح الشريف	١٩٥
الرتبة بين التراث النحوي وتداوليات الخطاب	أ.د. محي الدين محسب	٢٦٣
حضور التراث في أعمال داود عبده	أ.د. أبو أوس إبراهيم الشمسان	٣١٣
الفصل الثالث: قراءات معاصرة للتراث الأدبي والبلاغي		٣٥١
أسباب خفاء المعاني في نظر أبي الحسن الماوردي مقارنة بآراء النقاد القدماء والمعاصرين	أ.د. محمدبن عبدالرحمن الهدلق	٣٥٣
مقاييس الفصاحة في البلاغة العربية: قراءة معاصرة	أ.د. إبراهيم بن منصور التركي	٣٦٩
تنازع المكانة بين الشعر والسرد: قراءة في السياق الثقافي	أ.د. حسن محمد النعمي	٣٩٩
الفن والأطروحة في ثلاثة نصوص سردية قديمة	أ.د. محمد نجيب العمامي	٤١٣
تجربتي مع البلاغة العربية	أ.د. سعد عبدالعزيز مصلوح	٤٣١

الرتبة بين التراث النحوي وتداوليات الخطاب

أ.د. محي الدين عثمان محسب
أستاذ العلوم اللغوية – جامعة المنيا- مصر

"ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن تأتي المعنى من الجهة التي هي أصحُّ لتأديته"(١)

- **مدخل:**

يتأسس هذا البحث على حقيقة إدراكية وعلى مبدأ إبستمولوجي: أما الحقيقة فهي تلك التي باتت الإدراكياتُ cognitive sciences تؤكدها يومًا بعد يوم؛ وهي أن التواصل إنما هو عمل مشترك joint action[٢]؛ أي أنه شكل من التفاعل التواصلي يقوم المشاركون فيه بتنظيم تبادل المعنى وفق مقتضيات سياقٍ معين، وحسب أعباء التكلفة اللازمة من التشغيل الذهني لهذا التنظيم. وأما المبدأ الإبستمولوجي فمؤداه أن اختلاف الاستعمالات اللغوية أمر تفرضه مقتضيات تداولية، ومن ثم فالمنهجيات اللسانية الاختزالية لم تعد صالحة لتفسير تفاعل اللغة مع القدرات الإنسانية الأخرى: الإدراك والتفكير والشعور والقدرة على الفعل والسلوك. وهكذا بات ملحًا الدخولُ في منعطف لساني يتجه إبستمولوجيًا إلى الكشف عن أوجه التفاعل الذي يجسد الارتباطَ العلِّي بين استعمال اللغة والفكرة أو الغرض الذي يريد المرسِل توصيلَه، والذي يقود عمليةَ تكوين الأقوال التي يرسلها.

بحوث محكمة مقدمة في المؤتمر الدولي الثالث (قضايا التراث اللغوي والأدبي والنقدي) المنعقد في الفترة من ٣١/٨/٢٠١٨ إلى ٨/٨/٢٠١٨

وما يترتَّب على تلك الحقيقة متآزرةً مع هذا المبدأ أن نحو اللغة إنما هـو انعكاس لجوانب الإدراك الإنسـاني، وأن كل اسـتعمال للغة إنما هو سياق إدراكي يتم فيه تشييدُ علاقةٍ بين المعنى وتجربة المشاركين في هذا الاسـتعمال. وهذا هو ما يشـكل جوهرَ التداوليّات الإدراكية cognitive pragmatics التـي تقوم إبسـتمولوجيًا على الأسـس الآتيـة التي أقرتها الشجرةُ الأمُّ لهذه التداوليات؛ وأعني بها اللسانيات الإدراكية[٢]:

١- اللغة ليسـت مَلَكة مسـتقلة، وإنمـا هي مرتبطة بالقـدرات الإدراكية الإنسانية الأخرى.

٢- الموضوع الرئيسي للدراسة ليس هو النظام اللغوي، وإنما هو الاستعمال اللغـوي.؛ ومن ثم فالنظام اللغوي يُفهَم على أنه طريقة دينامية تربط ما بـين البنية اللغويـة (التركيب)، والمعنى (الدلاليات)، والاسـتعمال اللغوي (التداوليات)، والبنية الإدراكية (الإدراك cognition).

٣- النحو هو نتاج بَنينةٍ وترميزٍ structuring and symbolising لمحتوىً دلاليٍّ عَبْر شكلٍ صوتيمي.

٤- المعنى لا تتم رؤيته من خلال منظور الدلالة الصريحة بشكل خالص، وإنما هو يشـمل جوانب الدلالة الضمنيـة؛ ولذا لا يمكن الفصل بين الدلاليات والتداوليات.

٥- البنيـة (الدلاليـة- التداوليـة) هي في حـالات كثيرة ما يُعلِّـل البنيةَ النحوية؛ ومن ثم لا يمكن معالجة التركيب بشكل مستقل.

ولا شك أن قضية (الرتبة) - بمعنى تنظيم ترتيب العناصر اللغوية المكوِّنة للتركيب اللغوي - تعدّ أحد المظاهر الرئيسية في اختلافات الاستعمالات اللغويـة. والبحث يحاول الاسـتدلال على أن ترتيـب العناصر اللغوية في

التركيـب إذا نُظِر إليه مـن الوجهة التداولية فإن هذه الوجهة تفضي إلى إلغاء ثنائية (الأصلية والفرعية) التي أُقيمتْ ما بين تنوعات الاستعمالات التركيبية؛ حيث تصبح كل الترتيبات التركيبية على حد سواء لا يميز بينها سوى قيام كلٍ واحدٍ منها بوظيفته الإبلاغية المناسِبة لسياق خطاب التفاعل في موقف التواصل اللغوي. ولا شـك أن ذلك يفضي إلى اعتبار الترتيب التركيبـي قضيـةً تداولية ذات صلـة وثيقة بتحليل الخطـاب وبلاغياته.

وهنا لا بد أن أشير إلى أنه منذ بزوغ كلٍ من تحليل الخطاب والتحليل التداولـي وموضوعُ العلاقة بينهما هو موضِع فحصٍ نظري ترتّب عليه أن العلاقة بينهما أصبح لها من الرسوخ ما يغني عن التأكيد المسهب حولها. ومـن ذلك مثلًا ذهابُ الباحثة الإسـبانية Margarida Bassols Puig إلى القـول "إن تحليـل الخطاب له أغراضـه التى تقترب بشـدة من أغراض التداوليـات، وذلـك إن لم نقل إنها أغراض مشـتركة. وهـذا يعود إلى أن الخطاب ليس إلا متتابِعة من الجمل في حالة عمل؛ أو بتعبير آخر: متتابعة من الأقوال"[٤]. ومع ذلك لا بد من الإشـارة إلى مواقف معرفية تكشف عن بعـض وجوه الفـروق. فالباحثة نفسـها التي ذكرناها تفـرّق بين المجالين فتذهب إلى أنه «في حين أن تحليل الخطاب يشرح تفسير العناصر الواردة دون الخـروج إلى ما وراء اللغة، فـإن التداوليات تعود إلى مجالات أخرى من النشـاط الإنساني (الأحكام، المشـاعر، المعرفة، المقاصد....)»[٥]. وفي صيغـة أكثر وضوحًـا تذهب باحثة أخرى هـي Laura Alba- Juez إلى القول "كما أرى فإن التداوليات ليست هي تحليل الخطاب نفسه، ولكنها مصـدرٌ لا يمكن لهـذا التحليل أن ينفصل عنه. فمن غير الممكن أن نحلل أيَّ خطابٍ دون أن يكون لدينا معرفة أساسـية صلبة بالظواهر التداولية

وبالطرق التي تعمل وتتفاعل بها"[٦].

ولكـي لا يأخذنا هذا النقـاش النظري بعيدًا فإننـي أرى أن تعريف ديفيـد كرسـتال للـ(التداوليات) بقوله إنها «فرع لسـانيّ يدرس اللغة من منظور مسـتعمليها، وبخاصـة اختياراتهم التي يقومـون بها، والمحدِّدات التـي يواجهونهـا في اسـتعمال اللغة في التفاعـل الاجتماعي، والآثار التي يجلبونهـا علـى الآخرين المشـاركين لهم في حدث التواصـل»[٧] أقول: إن هـذا التعريف يقود إلى أن هناك عمقًـا كبيرًا يجمع بين تحليل الخطاب والتداوليات؛ وذلك باعتبار أن كلا النظامين العلميين ينخرطان في دراسة المحددات والاقتضاءات الذاتية والاجتماعية التي تشـكل طبيعة التشكُّل اللغـوي، والآثـار الناجمـة عنه في تشـكيل الحدث التواصلـي. ولعله من مؤشـرات ارتباط العلمين أن كُلًّا من مفهوم (الكفاءة اللسانية الاجتماعية Sociolinguistic competence)، ومفهوم (الكفاءة التداولية Pragmatic competence) ومفهـوم (الكفاءة الخطابيـة Discourse competence) كل ذلك ينضوي تحت مفهوم (الكفاءة التواصلية – communicative co petence)[٨]. كذلـك فإنه مما يلقي مزيد إيضاحٍ لهذا التداخل إدراك أن الكفاءة اللسـانية الاجتماعيـة «تتضمن اختيار التنويعة اللغوية المناسـبة للسياق بناء على عدد من العوامل الأسلوبية/ الاجتماعية؛ مثل الشخص المُوَجَّه له الحديث، وموضوع الحوار، ومكان التفاعل وأسـلوب الكلام»[٩]. وهذه الأبعاد كلها لها حضور في التداوليات.

وعلـى أيـة حال فقـد كان تحليل الخطـاب والتداوليـات بمثابة ردةَ فعـل قوية مضادة للاتجاه التوليدي؛ وذلك بانطلاقهما معًا من تأسـيس إبسـتمولوجي مؤداه أن «التنـوع - حيث يختلف الاسـتعمال اللغوي وفقًا

لاختــلاف خصوصيــة الموقــف والســياق الاجتماعيــين - ليــس رفاهية تواصلية، وإنما هو سمة ملازمة لكل اللغات»[١٠]. وهنا لا بد أن نشير إلى أن الاختــراق الدلالي الذي اعتور نظرية تشومســكي التركيبية التوليدية التــي ذهبــت إلى أن المعرفة الدلالية ليســت ضروريــة في فهم اللغة، وأن المتكلــم صاحــبَ الكفاءة يمكن أن يكــون جاهلا بالمعرفة التي تشــخصها النظريــةُ الدلالية، أقول: هذا الاختراق الذي جاء من جهات عدّة كان في طليعة المؤثِّرات التي أفضت إلى حضور المسار التداولي. وبخصوص هذا الاختراق يمكن أن نشــير مثلًا إلى نظرية روبرت ماثيوز التي تذهب إلى أن المســتعملين الطبيعيين للغة يجب - بمعنى ما- أن يســتعملوا - إن لم نقــل: أن يُحَوسِــبوا فيما تحت الوعي- نظريةً دلاليــة. فبدون الدلالة لن يكون لدى المتكلمين باللغة العادية القدرة على الترسيم mapping الدقيق للأقــوال[١١]. وكان مــن ثمار هذا الاختراق الدلالــي - على محدوديته في الاتجاهات التوليدية- الكشــفُ عن أنه حتى مــع ثبات الترتيب التركيبي نفســه فثمة عناصــر مثل التوكيد والنبر والتنغيم قــد تغير معنى الجملة كليًّا[١٢]. وللتمثيل لذلك فإن نبر كلمة (زيد) في:

- **زيد** رفيقُ الدرب!

يجعل الجملة جملة تعجبية. ونبر كلمة (الدرب) في:

- زيد رفيقُ **الدرب**؟

يجعل الجملة جملة استفهامية.

ولقد كان من ثمار إدراج المكون الدلالي في النظرية اللسانية التوليدية - وإن كان ذلك بدون عمدٍ إبستمولوجي من النظرية نفسها- تصاعدُ إدراك أهمية البعد التداولي في صناعة المعنى. وربما كان هذا التصاعد منبثقًا

قراءات معاصرة لمقدمة في التراث اللغوي والبلاغي في ضوء (بحوث مؤتمر التراث اللغوي والبلاغي الثالث) ١٤٣٤/٨/٣ - ٢٠١٣/٨/٨

من إمعان النظرية التوليدية في شـكلانيتها الصورية المنطقية؛ فكان ثمة تحذيرات مهمة حتى من لدُن الشكليين أنفسهم: فمثلًا ديفيد لويس صاحب كتاب (الدلاليات العامة) البالغ التأثير في تطور الدلاليات الشـكلية يؤكد ضـرورة التفريق والتمييز بين موضوعين: الأول وصفُ اللغات أو الأنحاء الممكنة بوصفها أنسـاقا دلالية مجـردة، حيث ترتبط الرموز بجوانب من العالم، والثاني وصفُ الحقائق النفسية أو الاجتماعية، حيث إن أحد هذه الأنساق الدلالية المجردة هو ما يستخدمه شخص معين أو جماعة معينة. ولا تأتي الفوضى إلا من الخلط بين هذين الموضوعين"[١٣].

وعلى أية حال فقد جاء طرح مفهوم (الكفاءة التداولية) ليَصعد بهذا البعد التداولي إلى مسـتوى المعطى الفطري الذي يذهب القائلون به إلى أن «البشـر - الفريدين من بين الكائنـات الحية- يمتلكون كفاءة تواصلية أساسـية تؤمِّـن لهم كُلًّا من السُّـبُل اللغوية والسُّـبُل غيـر اللغوية للتعبير عنها»[١٤].

ولقـد تزامن ذلك مع تراكم استشـراف النظر اللسـاني إلى ما وراء (الجملة) حيث (النص) و(الخطاب)، وحيث أصبحت «الجوانب الإدراكية والاجتماعيـة محل اهتمام بشـكل متزايـد»[١٥]. وكانـت نقطة الانطلاق لإدخـال لسـانيات النص والخطـاب تحت مظلة اللسـانيات هي الحاجة لشـرح (الرتبة)؛ أي شـرح تنوعـات الترتيـب التركيبي: كظاهـرة البناء للمجهـول passivization، وظاهـرة الفصل الجُمْلـيّ clefting، وظاهرة الزحلقة extraposition، وظاهرة النقل الموقعي dislocation وغير ذلك من ظواهر التركيبات الأخرى التي تبدو مترادفة[١٦].

وفي خضم هذا الطرح بدأنا نشـهد صراعًا إبسـتمولوجيًّا هائلًا بين

الانطلاق مـن المفهوم التوليـدي (الكفاءة) والمفهوم التداولي (السـياق). وكان الرد الحاسـم من أنصار سـياق الخطـاب هو «إن الجملة الجيدة تلبّي مبادئ النحو التركيبية والدلالية والصرفيمية والصوتيمية. وهي إن قامت بذلك فإنها تكون تعبيرًا ينتمي إلى لغة معينة. ومع ذلك فهذا لا يعني أن قول هذه الجملة يمكن أن يُستعمَل بشكل مناسب في أي سياقٍ خطابي. فالخطاب تنظّمُه وسائلُ التعبئة المعلوماتية؛ مثل المحور والبؤرة...إلخ. فلو أن البنية المعلوماتية لتعبيرٍ معين لم تتوافق مع التعبئة المعلوماتية التي يتطلبها السياق فإن التعبير يكون مخففًا في هذا السياق، على الرغم من أنه سليمٌ نحويًا»[١٧].

وترتيبًا على كل ما تقدم فإن ثمة أسـئلة ثلاثة نودُّ – في هذا البحث – طرحَهـا، ومحاولـةَ الإجابـة عنها؛ وهي: ما الأبعـاد الخطابية الكامنة في الرتبة؛ أي في تنظيم المسـتعمِل للعناصر اللغوية في التركيب النحوي؟ ومـا مدى حضور هذه الأبعاد في تراثنا اللغوي؟ وكيف قاربت الاتجاهات اللسانية الحديثة هذه الأبعاد؟.

◦ الرتبة في الفكر النحوي العربي:

لقـد عالج الفكر النحـوي العربي قضية (الرتبـة) في إطار مفهومَي (التقـديم والتأخيـر). وكان الأسـاس النظري لهذه المعالجـة قائمًا على ثنائيـة (الأصل والفرع)، وهي الثنائية التي تفرعت منها مقولات الوجوب والامتنـاع والجواز. وعلى الرغم من أن فكـرة (التركيب/ الأصل) تدخل تحت القانون التداولي العام الذي وضعه سيبويه منذ البداية؛ وهو «وليس شـيء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجها»[١٨]؛ وذلك لأن التركيب/ الأصل هو - في النهاية - (شـيء يضطرون إليه، ويحاولون به وجهًا)؛ أي يُغَيُّـون من وراء اسـتعماله قصدًا معيّنًا، أقول: علـى الرغم من ذلك فإن

سـيبويه نفسـه يورد ما قد يُفهَم علـى أنه نقضٌ لهذا القانـون التداولي التفسـيريّ المهمّ. فهو يقول في موضـع آخر: «فإن قدّمتَ المفعولَ وأخّرت الفاعـلَ جرى اللفـظ كما جرى في الأول، وذلك قولـك: ضرب زيدًا عبدُ اللّه، لأنـك إنمـا أردتَ به مؤخـرًا ما أردت به مقدَّمًا، ولم تُرِد أن تشـغل الفعـل بـأولَ منه وإن كان مؤخـرًا في اللفظ. فمن ثـم كان حدُّ اللفظ أن يكـون فيـه مقدمًا [وفي نسـخة ط: كان حد اللفظ فيـه أن يكون الفاعل مقدمًا]. وهو عربي جيد كثير»[١٩]. وأتصور أن ما يرفع هذا التضارب عن نظرية سـيبويه هو أن نفسّـر عبارته «لأنك إنما أردتَ به مؤخرًا ما أردت به مقدَّمًا» بأنه يقصد إرادة تعيين الوظائف النحوية نفسـها، وليس إرادة المقاصد الدلالية نفسـها. فمـن الوجهة النحويـة الإعرابية يظل الفاعل (فاعلًـا)، والمفعول (مفعولًا)، إذا جاءا على أصل التركيب، أو تقدَّم الثاني على الأول. فذلك إذن وضعُهما (اللفظي)؛ أي هذا هو وضعهما الشـكليّ حيـث «جرى اللفـظُ كما جرى في الأول». أما الفـارق االتداولي الذي لم يتحدث عنه سـيبويه بين (ضرب عبدُ اللّه زيدًا) و(ضرب زيدًا عبدُ اللّه) فهـو أن المتكلـم بالتركيب الأول مَعنِـيٌّ بإعلام المخاطـب بواقعةٍ حدثت. فكأن التركيب جوابٌ عن سـؤال ضمني لدى المخاطب هو: ماذا حدث؟. وأمـا التركيـب الثاني فيدل علـى أن المخاطب يعلـم أن (ضربًا) قد وقع لزيد، ولكنه لا يعرف من الذي قام بهذا (الضرب). فكأن التركيب جواب عن سؤال ضمني لدى المخاطب هو: من ضرب زيدًا؟ فالتركيبان رسالتان يجسد اختلافُ ترتيبهما التركيبي اختلاف غرضيهما المعلوماتيين.

ومن المهم هنا أن نلاحظ ربط سيبويه بين حرية الرتبة والوسم الإعرابي case-marking، وهو الربط الذي لحظه لسـانيون معاصرون [٢٠]؛ فنجد

مثلًا القول بأن «اللغات ذات الأنظمة الفنية في الوسم الإعرابي؛ مثل السنسكريتية، والفلندية، واللاتينية- ونضيف إليها العربية بلا شك- تسمح لترتيب المقولات الاسمية في الجملة بالتبادل دون أن يغير ذلك المعنى القضويَّ propositional meaning للجملة»[٢١]. ولكننا لا بد أن نقول إن مفهوم (المعنى القضوي) - من الوجهة التداولية- مفهوم بالغ التجريد، وشديد الانعزال عن سياقية الخطاب، إلى الدرجة التي يصبح فيها أداة تحليلية غير مجدية في إعطاء فهمٍ حقيقي للاستعمال اللغوي.

وعلى أية حال فإنه إذا كان سيبويه لم يتحدث عن الوجه التداولي في اختلاف التركيبين قبل التقديم وبعد التقديم فإننا لا نستطيع أن نغفل أنه في السياق نفسه وضع قانونًا تداوليًا فرعيًا حين قال «كأنهم إنما يقدمون الذي بيانُه أهَمُّ لهم، وهم ببيانه أعنى». وإذا كانت بعض الأنظار الدلالية الحديثة توافق سيبويه في هذا القانون فإن هناك مِن أصحاب هذه الأنظار مَن يقرر أن تبئير focus المعنى يُستبان عن طريق ترتيب المكونات، وأن الفكرة الأشد بروزًا في قولٍ ما هي التي يُستهَل بها التركيب، يليها في التبئير الجزءُ الختامي الذي يحمل العنصر القضوي الأخير في الجملة [٢٢]. وعلى هذا فما يتوافق فيه سيبويه وبعض اتجاهات النظر الدلالي الحديث هو أن التقديم يستدعيه غرضٌ معين يمثل أهميةً لدى المرسل، أو يمثل إذعانًا لمقتضىً ما في السياق التواصلي. وهذا لا ينفي أن يكون إيرادُ التركيب على صورة الترتيب الأصلي هو نفسُه أيضًا ذو غرضٍ ومقصد. فكما يقول سيبويه بعد هذا القانون الفرعي مباشرة إن التركيبين «جميعًا يهمانهم ويعنيانهم»؛ أي هذا يهمهم ويعنيهم لغرض، وذاك يهمهم ويعنيهم لغرض آخر.

قراءات معاصرة لقضايا في التراث اللغوي والبلاغي بحوث محكمة مقدمة في المؤتمر الدولي الثالث (التراث اللغوي والبلاغي في ضوء ...) ٨/٨/١٤٤٠هـ ٢٠١٩/٤/١٥م

فما يستلفتُ انتباهنا إذن في عبارة سيبويه أنه لا يربط فحسب بين اختراق قيود ما سمِّي بالرتبة الأصل وقصد المتكلم، وإنما يربط أيضًا - في جزء العبارة الأخير- بين التركيب الجاري وفق الرتبة الأصل، من جهة، والقصد، من جهة أخرى. فلجوء المستعمل إلى تركيب الرتبة الأصل نوعٌ من الاضطرار التداولي الذي يَقصِد من ورائه هذا المستعملُ وجهًا. وكأن سيبويه لا يقصر أمر الوجوه التداولية لنظام الرتبة على حالات التقديم والتأخير. فالأمر كله أمر (اضطرار) وليس أمرَ اختيارات أسلوبية أو بلاغية من بين بدائل تركيبية. ولذلك يقول عبد القاهر الجرجاني «إذ قد ترى أن ليس إلا تقديمٌ وتأخير، وأنه قد حصل لك بذلك من زيادة المعنى ما إن حاولته مع تركه لم يحصل لك»[٢٣]. ولعلنا نستطيع توضيح فكرة عبد القاهر بمثال بسيط؛ وهو ما تحدِثه مثلًا التغييراتُ الموقعية لدالّة شائعة في الاستعمال هي دالّة (أيضًا)[٢٤]. ولننظر في الجملة التراثية التالية التي وردت في كتاب (أدب الكاتب) للصولي هكذا:

- (١) وأقطع الزبيرُ أيضًا بخيبرَ أرضًا فيها شجرٌ ونخلٌ

ومن الواضح أن قراءة الجملة بهذا الترتيب الموقعي للدالة (أيضًا) تعطي معنى تكرار فعل (الإقطاع) من الفاعل نفسه (الزبير). فماذا يحدث لهذا المعنى عندما يتغير الترتيب الموقعي للدالة نفسها؛ فنقول مثلًا:

- (١أ) وأقطع الزبيرُ [أيضاً بخيبر] أرضاً فيها شجر ونخل. أو (١أ) وأقطع الزبيرُ [بخيبر أيضًا] أرضاً فيها شجر ونخل
- (١ب) وأقطع الزبير بخيبر أرضاً [أيضاً فيها شجر ونخل]
- (١ج) وأقطع الزبير بخيبر أرضاً فيها شجرٌ [ونخل أيضاً]

ولكي نجيب عن هذا التساؤل نقول إن إجراء هذه التنويعات الترتيبية يضعنا أمام ما يأتي:

- في (١أ) يصبح المعنى هو الدلالة على تكرار الفعل في المكان نفسه: فتكون الجملة معطوفة على جملة سابقة مثل: وأقطع الزبير بخيبر أرضًا صفتها كذا وكذا، وأقطع بخيبر أيضًا (أو: أيضًا بخيبر) أرضًا فيها شجر ونخل.
- أما في (١ب) فالمعنى هو تكرار صفة المفعول؛ حيث إن هذه الأرض تماثل في الصفة أرضًا أخرى من جهة أنها (أيضًا فيها شجر ونخل)
- وفي (١ج) يصبح المعنى داخلًا فيما يمكن تسميتُه بالعطف التعدادي للعناصر؛ حيث تعداد المكونات الموجودة في هذه الأرض: فيها شجر، ونخل، و...

وفي الحقيقة فإن فكرة عبد القاهر في عدم تحصيل المعنى نفسه إذا كان ثمة تقديم وتأخير تكتسب قيمتها العلمية والتاريخية عندما نجد تأكيدها واضحًا -كما سنرى- في بعض اتجاهات النظرية اللسانية المعاصرة عند بحثها في الأبعاد التداولية للرتبة.

وفي هذا السياق نلاحظ أنه على الرغم من هذا التأسيس المعرفي المهم الذي أرساه سيبويه في التسوية بين (التركيب الأصل) و(التركيب المعدول به عن الأصل) في خضوع كلٍ منهما للاضطرار التداولي الذي يتطلَّب تفسيرًا وتعليلًا، فإن مسار الفكر النحوي غلب عليه الحكمُ بأن ما جاء من التراكيب على الأصل خارجٌ عن التعليل؛ أي أنه لا يُعلَّل؛ لأنه مجرد إنفاذٍ للنسق الطبيعي. فأن يكون التركيب مكونًا من (مبتدأ + خبر) أو من (فعل + فاعل) فهذان تركيبان كلٌ منهما أصل. أما أن يكون التركيب مكونًا من (خبر مقدم + مبتدأ مؤخر) فذلك هو التصرف التركيبي الذي يحتاج - بسبب عدوله عن الأصل الطبيعي- إلى واحد من

الأحـكام الثلاثة: الوجوب أو الامتنـاع أو الجواز. ويبقى الأصل التركيبي الثانـي (فعـل + فاعل) غير قابل - في النظريـة البصرية على الأقل- إلا لحكم واحد هو الوجوب في الحفاظ على رتبة تقديم الفعل على الفاعل.

وهنا يمكن طرح بعض الأسـئلة: هل يمثل لجوء مسـتعمل اللغة إلى تركيبٍ أصلٍ (اختيارًا) من بين عدة بدائل تركيبية؟ وهل يمكن تعليل هذا الاختيار مثلما هو الشأن في تعليل الاختيارات الأخرى؟ وهل تركيب مثل: (زيـدٌ قابلـتُ أخـاه) - بوصفه جملة اسـمية- يعد تركيبًا أصلًـا أم تركيبًا معدولًـا بـه عن تركيب أصل آخـر هو (قابلتُ أخا زيـد)؟ وما الفرق إذن بـين التركيبـين، وبينهمـا وبين (أخو زيـد قابلته) أو (زيدٌ أخـوه قابلتُه)؟ أم أن المسـألة برمتهـا لا تقوم على (الاختيار) أصلًـا، وإنما هي خاضعة لمقتضيـات تداولية يفرض كلٌّ منها نسـقَه التركيبـي؟ ومن ثم فإن القول العـامّ المطلق بأن اللغة العربية لغـة حرة الرتبة يكون بحاجة إلى التعديل وإعادة النظر؛ لتكون سـياقاتُ أغراض الخطـاب والتداول هي (القيود) التي تؤطّر هذه الحرية وتعطيها وظائفها؟

إن مثـل هذه الأسـئلة تدفعنا إلـى أمرين: أولهمـا البحث في مدونة النحو العربي عن التعليلات التي سـيقت لتفسـير ما ينضوي تحت نظام الرتبـة. والأمـر الثاني هـو البحث في مدونـة اللسـانيات المعاصرة عما قدمتـه بخصوص الأبعاد التداولية في قضية الرتبة، أو لنقل بتعبير أدق: عمـا قدمته بخصوص إدخـال (الكفـاءة التداولية)، وتنويعتهـا (الكفاءة الخطابيـة)، مـن تفسـيرات لتنوعات التنظيـم التركيبي ضمـن أهداف مشروع الوصف اللساني الدقيق.

ومـا دمنا في هذا الجزء من البحث صَدَدَ التصوراتِ المتعلقة بالرتبة

في مدونة التراث اللغوي العربي فإن الحقيقة العامة التي يمكن تقريرها فيما يخص ذلك هو أن هناك جملة من التفسيرات قائمة في هذه المدونة، ولها صلة وثيقة بما نسميه هنا (الأبعاد التداولية للرتبة). ولعل عبارة سيبويه الشهيرة والمهمة التي سقناها منذ قليل تأتي في صدارة هذه الإشارات الرابطة بين حركة الرتبة في التركيب، من جهة، والمقصد التداولي للمستعمِل، من جهة أخرى. وهي إشارة مهمة سنجد أنه سيأتي بعد مئات السنين مِن سوق سيبويه لها مَن يفسر الربطَ بين ترتيب عناصر التركيب ومقولتي (الاهتمام) و(العناية)، وبأن ذلك "يُظهِر كيفيةَ رؤيتنا للواقع، وكيفية تواؤمِنا معه في سياقٍ اجتماعيّ معين"[٢٥].

على أنه لا بد أن نقول هنا إن تعليل سيبويه لحركية الرتبة بـ(العناية والاهتمام) تعليل غامض وشديد العمومية. ومن هذه الجهة جاء نقد عبد القاهر الجرجاني له ليزيد على مقولة (العناية والاهتمام) مقولاتٍ ذات طابع تداولي واضح سواء في ما بناه عبد القاهر تصورًا منه لأوضاعٍ سياقيةٍ للاستعمال اللغوي، أو في ما استخلصه استنتاجًا من وجوه المقاصد لدى مستعمِلي اللغة. ويمكن استنباط هذه المقولات من ربط حركية الترتيب التركيبي بمقاصد التأكيد والتقوية والتخصيص[٢٦]: الأمر الذي يصل به إلى القول مثلًا بعدم جواز «أن يكون (زيدٌ أخوك) و(أخوك زيد) بمعنى واحد»[٢٧]. على أن من المهم هنا أن نستلفت النظر إلى هذا التعميم النظري الذي حاول عبد القاهر إرساءه بخصوص تنوعات الترتيب النظمي حيث قال «واعلم أن من الخطأ أن يُقَسَّم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين؛ فيُجعَل مفيدًا في بعض الكلام، وغير مفيد في بعض، وأن يُعلَّل تارة بالعناية، وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب

حتى تطرد لهذا قوافيه، ولذاك سـجعُه. ذاك لأن من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة ولا يدل أخرى. فمتى ثبت في تقديم المفعول مثلًا على الفعل في كثير من الكلام أنه قد اختص بفائدة لا تكون تلك الفائدة مـع التأخيـر، فقد وجب أن تكون تلك قضيةً في كل شـيء وكل حال»[٢٨].

ومن الواضح هنا أن عبد القاهر أراد أن يضع التمايزات الدلالية الناجمة عن حركية أوضاع الرتبة في قلب النظرية النحوية للغة؛ ومن ثم استهدف تحقيق أمرين: الأول هو رفض مبدأ (العناية) ؛ وذلك لما يتسم به من طابع اختزالـيٍّ لا يصلح لتفسـير الحركية الدلالية الواسـعة المـدى في الرتبة. والأمـر الثاني دفع الربط التلازمي الذي يقصر حركية الرتبة لكي تكون مجرد حلٍّ لقيود الصياغة الأدبية، أو مجرد حلية زائدة لإحداث تأثيرات جماليـة. فالمسـألة قارّة ومطـردة في نظام التداول اللغـوي، ولا يجوز أن تقتصـر علـى حالٍ دون حال. وأتصور أنه لو أتيـح لمعالجات عبد القاهر تلك سـياقٌ معرفيٌّ غني ومعمق، إبَّان عصرِها وما تَبعَه من عصور التراث اللسـاني العربـي، لكانت قد آتت أكُلها بمقاربـات نظرية ومنهجية باهرة فيما يتعلق ببلاغيات خطاب الرتبة في التداول اللغوي.

ولعل معالجات عبد القاهر تهيِّئ لنا القول بصورة مجملة إن التِماسَ بعـض أوجـه المعالجـات ذات الطابع التداولـي للرتبة في الفكـر اللغوي العربـي القـديم إنما يأخذ وجهتـه الواعدة حقًا ليـس في كتب النحويين - وإن احتـوى بعضُها بعضَ الإشـارات المهمة - وإنمـا في كتب الأصوليين والمفسرين والبلاغيين.

وتأسيسًـا على هذا التصور فإنني أشـير هنا إشـارة خاصة وجيزة إلـى البلاغيين الذين عالجوا في باب (التقديم والتأخير) من علم المعاني

كثيـرًا مـن الوجوه التداولية لحركية الرتبة في العربية. وفي هذا السـياق لا ننسـى ربط السكاكي بين مفهوم (النحو) وما أسماه (كيفية التركيب)، وكان اعتناؤه في هذا الربط منصبًّا على فكرة (التقديم)؛ وذلك حين قال «النحـو هـو أن تنحو معرفة كيفية التركيب فيما بـين الكلم لتأدية المعنى مطلقًا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب، وقوانين مبنية عليها، ليحتـرز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية، وأعني بكيفية التركيـب تقـديم بعض الكلـم على بعض ورعاية ما يكـون من الهيئات إذ ذاك»[٢٩]. ولا شـك أن هذه (الرعاية) التي يشـير إليها السكاكي إنما هي رعاية للمقاصد الدلالية والتداولية الكامنة وراء كل كيفية تركيبية.

ومع ذلك فإنه على الرغم من ثراء الإدراك البلاغي العربي للأبعاد التداوليـة في حركيـة الرتبـة في التراكيب فإننا لا نسـتطيع أن نخرج من معالجاتهـم بنسـق نظري تداولـي واضح لنظـام الرتبة في اسـتعمالات العربية. فمثلًا يقول البلاغيون في تعليل مجيء المسـند إليه قبل المسـند في الجملة الاسمية إن الأصل في المسند التأخير؛ لأنه حكمٌ على الشيء، والمحكـومُ عليه مقدَّمٌ طبعًا. وهذا القول يفضي بالضرورة إلى أن الجملة الفعليـة التـي يتقدم فيها المسـند: أي الحكم، على الفاعـل: أي المحكوم عليـه، إنمـا هي جملة معـدولٌ بها عن الأصل في نسـق الرتبة. وفي حال الأخذ بهذا التحليل فإن الجملة الفعلية المكونة من (مسند + مسند إليه) لا تكـون مـن نمط الرتبة الأصـل: لأن فيها تقديمًـا للحكم على المحكوم عليـه. وعلـى الرغم من وجود دلائلَ معينة وقف عندها بعض اللسـانيين المحدثين تشير إلى أن نظام الرتبة في الجملة العربية هو من نمط VSO: أي (فعـل+ فاعـل + مفعول)، أقول: على الرغم مـن ذلك فإننا إذا أخذنا

قراءات معاصرة لقضايا في التراث اللغوي والبلاغي (بحوث محكمة مقدمة في المؤتمر الدولي الثالث للتراث اللغوي والبلاغي في جامعة ٣١/٨/١٤٣٠ هـ ٨/٨/٢٠٠٩)

بالقول بعدم أصلية الجملة الفعلية بناء على مبدأ أن (المحكوم عليه مقدم على الحكم) فإنه يبقى ثمة حاجة إلى تعليلٍ لتقديم الفعل على الفاعل. وهنا لا نجد عند البلاغيين تعليلًا إلا قولهم إن الفعل مقدم على الفاعل لكونه (عاملًا)؛ وهو قول مستمد من تقرير النحويين بأن "رتبة العامل قبل رتبة المعمول"[٣٠]. ولكن هذا التفسير لا يُعَدُّ تفسيرًا تداوليًا يبيّن مقصد المستعمل من اللجوء إلى هذا النمط التركيبي.

فإذا ذهبنا إلى معالجة البلاغيين لأغراض تقديم (المسند) فإننا نجدهم يقدمون قائمة مفتوحة بأغراض متعددة لهذا التقديم دون تمييزٍ بين كونه فعلًا أو اسمًا أو شبه جملة أو وصفًا، ودون تبيانٍ مقنن نظريًا لعلاقة حركة الرتبة بظواهر نحوية ودلالية أخرى كالنفي، والتعدية واللزوم، والموجهية، والتنغيم، والحذف، والنوع الدلالي للمنفِّذ وما إذا كان ينتمي إلى فئة الإنسان أو إلى فئة أخرى[٣١]...إلخ.

أما إذا ذهبنا إلى إطلالة عامة على مقاربة الأصوليين لما يتصل بقضية الرتبة فلا بد أولًا من الإشارة إلى أن الأصوليين انطلقوا في معالجاتهم اللغوية بصفة عامة من نظرية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بفكرة (المقصدية)، أو بما أسموه «دواعي الاستعمال» الكامنة وراء أي إنجاز كلامي. ومن هنا كان ترتيب الجملة عندهم قائمًا على ما أسموه مبدأ (النسبة) التي هي «أمر نفساني قائم بنفس المتكلم قيامَ علم وإدراك»[٣٢]. فجملة (زيد عالم) تدل على أمر نفساني هو قصد المتكلم الحكاية والإخبار عن ثبوت العلم لزيد[٣٣]. وهذا الأمر النفساني القصدي هو الذي يجعل لكل جملة مدلولًا تصديقيًا لا محالة؛ بمعنى أن مرسِل الجملة العاقل لا بد «أن يكون في نفسه شيء حين قال ذلك، فإن كان عبارة عن قصد الحكاية كانت

إخبارية، وإن كان عبارة عن إيجاد أمر اعتباري كانت الجملة إنشائية»[٣٤]. ولعله على ضوء التفاعل مع هذا المنظور الأصولي جاءت العبارة الشهيرة التي تقول إن «التقدم في اللسان تبع للتقديم في الجنان»؛ فإذا قلت مثلًا (أزيدًا تضرب؟) "كنتَ منكرًا أن يكون زيدٌ بمثابة من يُجرَأ عليه بضربِ أو أن يعامَل هذه المعاملة"[٣٥]، وهذا معنى لا يمكن إلا أن يكون هو ما قصد إليه مرسِل الجملة؛ ومن ثم فهي جملة يمكن أن يترتب عليها حكم بعدم استحقاق زيد لوقوع الضرب عليه. كذلك يفضي تأمل مثالِ آخر لتقديم المفعول إلى انطواء التركيب على عملية استدلال. فمثلًا في الآية (أبَشَرًا واحِدًا مِنَّا نتَّبعُه) ينهض استدلال ضمني مؤداه «أن من كان بشرًا لم يكن بمنزلة أن يُتَّبَع في أمره ونهيه وطريقته»[٣٦]. وهو ما يمكن صوغه بصورة القياس الصوري الآتي:

ليس لبشر على بشر أمرٌ أو نهي يوجبان اتباعَه

الرسول بشر

إذن ليس لهذا الرسول ما يوجب اتباعَه

فالإنكار متوجه إلى خرق هذا الاستدلال. وبناء على هذه التأملات الدقيقة أرسى الأصوليون قاعدة يصوغها الشاطبي بقوله «كلام العرب على الإطلاق لا بد فيه من اعتبار معنى المساق»[٣٧]. ومع الأهمية التداولية الواضحة لمثل هذه التأملات والمبادئ فإننا لا نستطيع القول بأننا إزاء نظرية تداولية للرتبة عند الأصوليين قائمة الأركان الإبستمولوجية والإجرائية.

ولقد ظل الفكر اللغوي العربي، بصفة عامة، وفي ساحاته المعرفية المختلفة، يعالج أمر الرتبة في حدود ما تَقرَّرَ في مثل هذه المقاربات التراثية

بحوث محكمة مقدمة في مؤتمر قضايا اللغة العربية في التراث اللغوي (جامعة الملك سعود ١٤٣٠/٨/٢٦هـ - ٢٠١٠/٨/٨م)

التـــي نظـــرت إلى الرتبة مـــن منظور الربط بين الأصـــل التركيبي وحركة (التقـــديم) التي تطرأ عليه تحقيقًا لمبدأ (العناية والاهتمام) بهذا المُقَدَّم. ومن الشائق أن نلاحظ أن هذا المبدأ نفسه ظل في الفكر اللساني الغربي هو الأداة التفسيرية للتقديم التركيبي إلى ما قبل بدء اللسانيات الحديثة. فهـــا هو مثلًـــا هايمن هورفيتز في عام ١٨٣٢م يقول «إن المذكورَ أولا يقدح عقلـــه [= عقل المتكلم] بقـــوة، وهو [المتكلم] يريد أن يوجه انتباه ســـامعيه إليه...لـــذا فالكلمات الأكثر أهمية تســـبق تلك التي هـــي أقل أهمية»[٣٨].

وما إن نصل إلى مرحلة تفاعل اللســـانيين العرب المحدثين مع الفكر اللســـاني الغربـــي الحديث حتـــى نجد بعـــض التأثيـــرات الواضحة لهذا التفاعل.

وبصفـــة عامة يمكن تصنيف هذا التفاعل اللســـاني العربي الحديث إلى: ثلاثة اتجاهات:

- التفاعل مع الوضعية البنيوية الوصفية
- والتفاعـــل مع الشـــكلية التجريديـــة التوليدية؛ كما تجســـدت مثلًا في أعمال عبد القادر الفاسي الفهري.
- والتفاعل مع الوظيفية التداولية؛ كما تجســـدت مثلًا في أعمال أحمد المتوكل.

وحيث إننا سنأتي على بعض قسمات المقاربة التوليدية والتداولية في الجزء الثاني من هذا البحث فإننا ســـنكتفي بالتمثيل للموقف من قضية الرتبة لدى الاتجاه الوضعي البنيوي الوصفي من خلال نماذج من ممثليه في الفكر اللساني العربي الحديث.

ولعلنا في هذا السياق نقف ابتداء عند تقرير إبراهيم أنيس مثلًا للمحين في (ترتيب الكلمات في الجملة): أولهما أن هذا الترتيب هو نتاج تطور تاريخي ممتد، وثانيهما أن هناك أسبابًا لغوية واجتماعية لهذا التطور. يقول أنيس "إن ترتيب الكلمات في كل لغة ليس إلا وليد تطور طويل المدى، ونتيجة مرور قرون كثيرة على هذه اللغة. ومن الصعب الوقوف على كل الظروف اللغوية أو الاجتماعية التي ساهمت في مثل هذا التطور حتى صار نظام الجملة على ما نألفه ونفهمه في كل لغة"[٣٩]. ولكن الأمر الجدير بالتنبيه عليه هنا هو ظهور تأثر أنيس الواضح بمعطيات النظر النسبيّ لدى صاحبَي كتاب (ضبط اللغة)[٤٠] الذي نعرف مدى تأثره بفكر الوضعية المنطقية في مدرسة ريشاردز كما تجلت في كتابه المشترك مع أوجدن (معنى المعنى) عام ١٩٢٣م. وكذلك نجد تأثر أنيس بما أورده اللساني الفرنسي جوزيف فندريس (١٨٧٥- ١٩٦٠) صاحب كتاب (اللغة) الشهير الذي كان قد ترجم إلى العربية منذ عام ١٩٥٠م، والذي نجد فيه ربطًا بين نظام الجملة وتلك الثلاثية التي وضعها فندريس: (اللغة المنطقية) و(اللغة الفاعلة) و(اللغة الانفعالية)[٤١]. ولقد كان لكل هذه الموارد الوضعية أثرُها في موقف أنيس من المقاربة البلاغية التراثية لترتيب التركيب. فهو يذهب إلى أنه «لا معنى لأن ننساق مع البلاغيين...[ف]دراستهم هنا لا تعدو أن تكون نقدًا أدبيًّا لأمثلة معينة تصوروا فيها تلك الأمور التي أشاروا إليها»[٤٢]. وهكذا ينحّي أنيس جملة الاعتبارات ذات الطابع التداولي مما بدا في بعض المعالجات البلاغية التراثية لتنوعات الترتيب التركيبي. وليس ذلك بمستغرب على ضوء النظر اللساني البنيوي الوضعيّ المعاصر آنذاك الذي اتكأ عليه اللسانيون

العرب، وفي طليعتهم أنيس بالطبع.

فإذا انتقلنا إلى نموذج آخر من لسانيينا الوصفيين فإننا نقف عند ذلك الاستخلاص المجمل البادي في قول تمام حسان عن موقف الفكر النحوي القديم بخصوص التنوعات التركيبية: «وحين رأوا أن الجملة لا تبدو دائمًا على نمط تركيبي واحد اقترحوا لها أصلًا نمطيًّا تخرج عنه بالزيادة والحذف والإضمار والاستتار»[٤٣]. ولكن قائمة تمام حسان هذه تأخذ شكلًا آخر يتبدى في قوله بأن هذا النمط الأصلي يلزمه الالتزام بالأصول الآتية: [الذكر، والإظهار، والوصل ، والتضام ، والربط ، والرتبة، والعامل]؛ ومن ثم يقع العدول عن هذا النمط الأصلي وأصوله بإحدى العمليات الآتية: [الحذف ، أو الإضمار ، أو الفصل ، أو تشويش الرتبة بالتقديم والتأخير، أو التوسع في الإعراب][٤٤]. وأيًّا ما كانت طرائق العدول التي يوردها تمام حسان فإن ما يهم ملاحظته هو أنه يجعل (التقديم والتأخير) هو الوجه الذي تتبدى به الرتبة. فالتقديم والتأخير إذًا عدول في الرتبة. والتفسير الكلي لظاهرة العدول في الرتبة عند تمام حسان أنها من باب «الدواعي الأسلوبية»[٤٥]، ومن ثم فتلك الدواعي كانت هي مسوغَ «مدخل البلاغيين إلى موضوع التقديم والتأخير»[٤٦]. ومع ذلك نجد تمام حسان يفرق بين (العدول) و(التقديم والتأخير) فيقول إن «العدول فكرة نحوية»، أما (التقديم والتأخير) فهي ظاهرة «مرتبطة بالأسلوب الذي هو عمل فردي في الأساس»؛ ومن ثم فهي تُعَدُّ «نشاطًا أدبيًّا ينتمي إلى الكلام لا إلى نظام اللغة»[٤٧]. ومن الواضح تماماً اشتغال حسَّان بالاعتماد على ثنائية دوسوسير الشهيرة: اللغة والكلام، وبناء عليها فإن مسألة التنوعات في الترتيب التركيبي لا تدخل في إطار

الـدرس اللسـاني المعنيِّ بالطابع النظامي الجمعـي للغة، وإنما تدخل في إطار النشـاط الأدبي بوصفه نشاطًا فرديًا. والغريب أن هذه الرؤية لدى هذا اللغوي الكبير - تمام حسـان- تفضي - بمد الخط على اسـتقامته- إلـى إخـراج موضوع (الرتبة) برمته من الدرس اللسـاني. وذلك لا شـك ناجم عن مرجعيته اللسـانية؛ حيث نجد مثلًا إدوار سابير يورد عددًا من التنويعـات التركيبية اللاتينية على جملة مؤداهـا العربي هو (المرأة ترى الرجل)، ويعقب عليها بقوله إنها «لا تحمل اختلافًا، أو قد تحمل اختلافًا ضئيلًا، عدا إمكان الاختلاف البلاغي أو الأسـلوبي... [ومن ثم] فالمغزى متطابـق بـين كل هذه الجمل»[٤٨]. وهذا التفسـير نفسـه هـو ما أخذ به بلومفيلـد حين يقول «إن وصـف البنية المُرَكَّبيّة phrase structure يُعطَى عن طريق أنواع مختلفة من التنويعات الأسلوبية الغامضة إلى حد ما»[٤٩].

هـذه صورة مجملـة وعامة لكيفية معالجة الرتبـة في تراثنا اللغوي، وفي الاتجـاه الوصفـي مـن فكرنا اللسـاني العربي الحديـث. فماذا عن معالجتها في الفكر اللساني العالمي إبّان حركته فيما بعد المرحلة البنيوية الوصفية؟.

- **الرتبة في الفكر اللساني:**

ثمـة تيـاران كبيران في إبسـتمولوجيا اللسـانيات المعاصـرة: التيار الصـوري وبؤرة اهتمامه هي بنية اللغة، والتيـار الوظيفي وبؤرة اهتمامه هـي مـا تؤديه البنية اللغوية من وظائف دلالية وتداولية في سـياق عملية التواصل.

ولقـد كانت مقولـة (الترتيب الأصلـي) من مسـتلزمات التحليل في التيار الصوري، وقد تعاورت هذه المقولة افتراضاتٌ متتابعة في المقاربات

التحويليــة بصفــة خاصــة. وفي هــذا الإطــار نهــض افتراضٌ مــؤداه أن الترتيب الأصلي تمثله "الجملة الأساس"؛ وهي - كما حُدِّدت ملامحها في خمسينيات القرن الماضي على أيدي النحويين التحويليين- تركيبٌ خبري بسيط ذو فعل واحد، مُثبَتٍ ومبنيٍّ للمعلوم.

ولأن غايــة التحديــد للمفاهيم تظل دائمًا أمرًا مُشْــرعًا فقد نهضت اقتراحات أخرى لتحديد هذه الجملة الأساس؛ وذلك كالقول بأنها "الجملةُ الخبرية المســتقلة المحايدة أسلوبيًّا التي تتضمن مشاركة اسمين: (المسندُ إليه) وشــرطُه أن يكون معرفةً ومنفِّذًا وكائنًا إنسانيًّا، و(المفعولُ) وشرطُه أن يكــون خاضعًا patient دلاليًّــا وأن يكون معرفةً، وتتضمن (فعلًا) يمثِّل حدثًا action وليس حالة state أو حادثة event"(٥٠). وتجســيدُ ذلك مثلًا هذه الجملةُ الشهيرة في أدبيات التراث النحوي:

- ضرب زيدٌ عمرًا

ومن الاقتراحات التي نهضت أيضًا القول بأن الترتيب الأصلي يتمثل في:

- الجملة الخبرية الرئيســة ذات الفعــل المتعدي التي يكون فيها كلٌّ من (المســند إليه) و(المفعول به) مركبًا اســميًّا صريحًا (وليس ضميرًا).

والمثال الذي يساق في الإنجليزية لهذه الجملة هو:

[The dog]	chased	[the cat]
S	V	O
[القطة]	يطارد	[الكلب]
مفع	ف	م إ
مفعول	فعل	مسند إليه

ويعلــق أحد أصحــاب هذا الاقتراح بــأن المطلوب في هــذا التركيب

الأصلي ملاحظة أن:

- المسند إليه: يكون أكثر شبهًا بالمنفِّذ agent
- والمفعول: يكون أكثر شبهًا بالخاضع patient

ومن ثم فهو يرى - مستثمرًا مفاهيمَ مستمدة من نحو الحالة case grammar- أن الأفضل أن يُسمَّى التركيب SVO بالترميز AVP [= اختصارًا لـ [Agent+ Verb+ Patient](٥١).

وعندما نقارن بين كل هذه التحديدات وتحديد ما يُسَمَّى بـ(الجميلة(٥٢) المستقلة independent clause) التي اشتُرِط فيها:

- أن تعبر عن فكرة كاملة
- أن تكون مستقلة بذاتها

فإننا نجد انبثاق ترادفٍ بين مفهوم الجملة البسيطة والجميلة المستقلة؛ بما يعني أن الجملة البسيطة هي التي تعبر عن فكرة تامة، وتكون مستقلة بذاتها. أما إذا أخذنا بقول من يرادف بين (الجملة البسيطة) و(الجملة الأصلية) كما في قول أحد الباحثين:"إن النمط الأصلي للجملة هو الجملة البسيطة التي لا تحتوي إلا على (جميلة مستقلة واحدة) ... و[هي] الأكثر طبيعيةً بين بِنَى الجمل؛ حيث إنها أول نوع يتعلم الأطفال نطقه، وهي التي تبقى إلى حد بعيد الجملةَ الأشيعَ في لغة الحديث"(٥٣)، فإن هذا الترادف يتراجع عندما نجد أن (الجميلة المستقلة) قد تكون استفهامًا، وقد تكون منفية.

ونظرًا لأن مسألة وضع تحديد حاسم لمفهوم (الترتيب الأصلي) كانت - وماتزال- مسألة بالغة التعقيد، فقد ذهب بعض الدارسين إلى

وضع تحديد كمّيٍّ؛ فيذهب ماثيو دراير M. Dryer مثلًا إلى أن "(الترتيب الأصلي) في لغةٍ ما هو ما يَشيع فيها بنسبة الضِّعْف أمام شيوعِ الترتيب المقابل له"[٥٤]. ولكن دراير نفسه يسوق وجهة نظر تعارض هذا التحديد بناء على أن (الشيوع) لا ينبغي أن يُستَعمَل معيارًا؛ لأنه ليس جزءًا من نحو اللغة»[٥٥].

ولقد كان من تأثيرات المقاربات التحويلية في الرتبة أن نهضت اقتراحات خاصة بالرتبة في العربية. وفي هذا السياق نذكر ما ساقه الدكتور موسى البطوش – من جامعة فهد بن سلطان – من أن مسحًا للأدبيات المخصصة لدراسة الرتبة في العربية الفصيحة أظهر أن معظم التفسيرات الحديثة تُقرّر أن الترتيب الترتيبي (VSO = فع + فا + مفع) هو الترتيب غير الموسوم unmarked في العربية الفصيحة". ويورد بطوش أن الفاسي الفهري قدّم هذا الترتيب (عام ١٩٩٣) على أنه البنية المركبية القانونية للعربية الفصيحة، وذلك من خلال الشكل التالي:

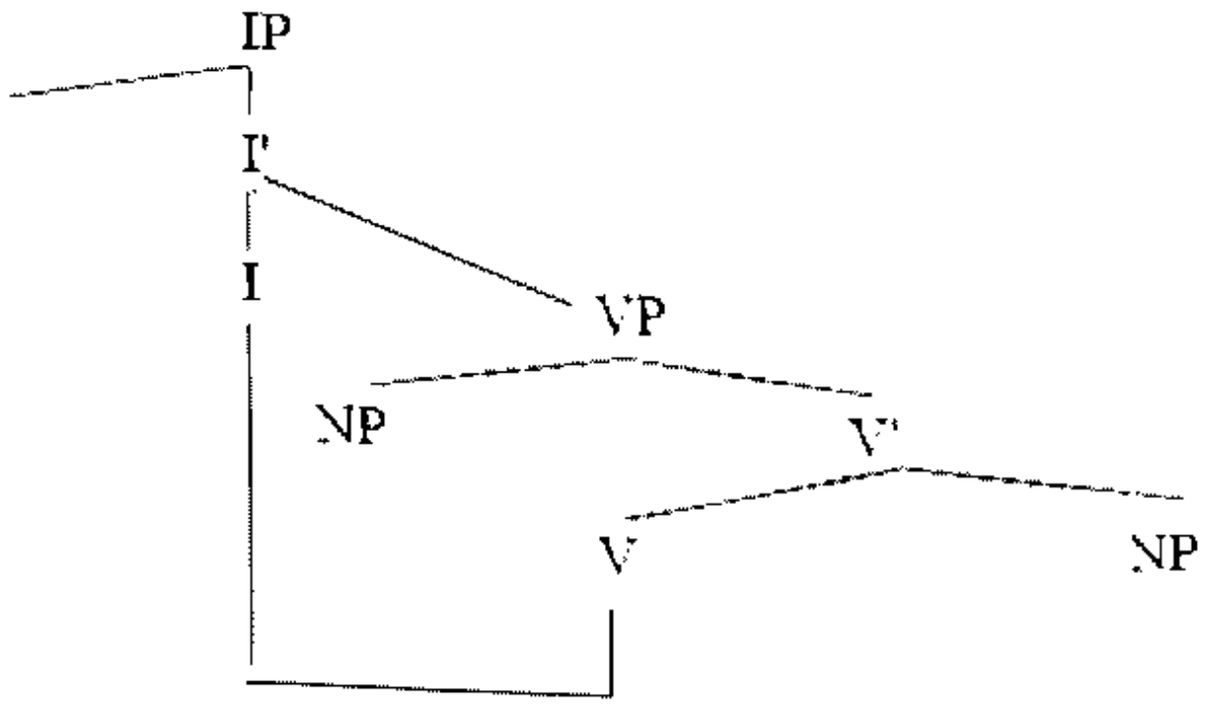

وهنا نذكر أنه من بين الاستدلالات التي يأخذ بها أصحاب هذا الرأي أننا في الجملة الاستفهامية المحذوفة (المفعول به) يأتي الترتيب هكذا (SV)؛ وذلك كما في قوله تعالى:

- (ماذا أرادَ اللهُ بهذا مثلًا)

- (ماذا تعبدون)
- (ماذا أنزل ربكم)

ولكن الباحث نفسه- البطوش- وفي الموضع نفسه، يذكر أنه «من بين التعميمات التي تم التوصل إليها من توسيع نظريتي (العامل والربط) و(المبادئ والباراميترات (= المفاتيح الخاصة)) التعميم الذي يزعم أن الترتيب التركيبي (SVO = فا + فع + مفع) هو التشكل التركيبي الساري (تحت البنى التركيبية) في العربية الفصيحة[٥٦].

ولعل ذلك التعارض يمضي جنبًا إلى جنب مع ما ذهب إليه عبد القادر الفاسي الفهري حين قال «إنني أقرر أن العربية هي بشكل جوهري من نمط اللغات ذات الترتيب (SVO)، وذلك على الرغم من أنه يبدو أيضًا انتماؤها إلى النمط الخليط SVO/VSO»[٥٧].

ومن الواضح أن المعالجة التحويلية التوليدية لم تسفر إلا عن إبستمولوجيا مفرقة في (الاختزالية) والتجريد الرياضي الشكلاني. ولقد كان ذلك مدعاة لنشوء اتجاهات التيار الكبير الثاني في اللسانيات المعاصرة؛ وأعني به الاتجاه الوظيفي، وبخاصة الاتجاه التداولي. ولعل من بين ما يستهدفه هذا التيار التداولي بخصوص قضية (الرتبة) الوصولَ إلى التأكيد على أن اللغات الإنسانية تستخدم تنوعات ثريّة من الترتيبات التركيبة ذات الصلة الوثقى ببلاغة الخطاب.

وحتى نقرب صورة التمييز بين التيارين نأخذ هذا التمثيل التبسيطي الذي يقدمه أحمد المتوكل بالجملتين الآتيتين:

١- أعطيتُ هندًا كتابًا

٢- كتابًا أعطيتُ هندًا

في المقاربة الصورية الفرقُ بين الجملتين هو فرق بنيوي صرفٌ يكمن في أن المكون المفعول في الجملة الأولى يحتفظ بموقعه الأصلي بعد الفعل،

في حين أنه يرِد في الجملة الثانية محتلًا للموقع الصدر؛ أي قبل الفعل. أمّا الفرق بين هاتين الجملتين في المقاربة الوظيفية فإنه بالدرجة الأولى فرق في القصد يعكسه الفرق البنيوي: فالجملة الأولى جاءت على هذا الترتيب لأن القصد من إنتاجها هو إخبار المخاطب بمعلومة (جديدة) غير متحصلة لديه بكليتها، وهي تتعلق بماذا فعل المتكلم. أما تصدير المفعول في الجملة الثانية فهو آيلٌ إلى أن القصد من إنتاجها هو تصحيح معلومة جزئية لدى المخاطب الذي تفترض هذه الجملة نفسُها أنه قال مثلًا: بلغني أنك أعطيت هندًا قلمًا[٥٨]. وبعبارة تتكئ على الاصطلاح الفني نقول إننا إزاء نوعين مختلفين من تبئير الرتبة: تبئير الجملة بكاملها في المثال (١) والتبئير الضيق أو المحدود في المثال (٢). فالجملة الأولى تعكس قصد المتكلم إبلاغَ المخاطب عما فعل. والجملة الثانية تعكس قصد المتكلم أن يصحح جزئية لدى المخاطب الذي يعرف أن المتكلم أعطى هندًا شيئًا ما.

وعلى ضوء هذا التفسير الوظيفي فإن حركة الرتبة في استعمال المتكلم للجملة (٢) ليس مسألة اختيار أسلوبي لبديل عن الجملة (١)، وإنما هو استجابة لمقتضى قصديٍّ يفرضُه سياقُ التواصل.

بمثل هذه المواجهة التحليلية في تفسير حركية الرتبة قام التحليل التداولي الوظيفي بمحاولة تقويض دعائم الفرضية الأسلوبية التقليدية، من جهة، والتحليل البنيوي الصوري في النحو التوليدي من جهة أخرى. وعلى الرغم من أن الصوت التداولي في معالجة الرتبة قد شهد فضاءَه الواسعَ خلال العقود الميلادية الثلاثة الأخيرة فإننا لا يمكن أن نتجاهل ريادة ڤيليم ماثيسيوس Vilém Mathesius (١٨٨١- ١٩٤٥م) أحد مؤسسي مدرسة براغ الشهيرة. فهو الذي قدم في عام ١٩٢٨م توزيع بنية

الإبــلاغ المعلوماتي في الجملة من خلال تقســيمها إلى جزأين هما: الثيم theme والــريم rheme. فالثيم هو المتحدَّث عنه في الجملة؛ أي الموضوع topic، والريم هو ما يُتحدَّث به عن الثيم؛ أي التعليق. وباســتثمار إدخال ماثيســيوس لبنيــة المعلومــات في تحليل الجملة يصل منظــرو الرتبة إلى القــول: "إنه مع تغيير ترتيب عناصر المقول يتغير معناه أيضًا؛ وبناء عليه فإن رتبة الكلمات في الجملة لا يمكن أن تكون حرة»[٥٩].

ومن هنا انطلقت الدراســات التداولية تؤكد أن الموقف التواصلي هو الذي يستدعي الخطاب إلى الوجود. كذلك واصلت هذه الدراسات تأكيد أن لــكل موقفٍ تواصليّ بلاغته الخطابية. وبالتدريج بدأ يتقدم في تحليل التنويعــات التركيبية في النص مفهومُ (أطر التفاعل بين البنية والوظيفة) ليحل محلَّ مفهوم (التحركات الأســلوبية)؛ وذلك على أســاس أن إطلاق وصــف (الأســلوبية) على هذه التحركات معنــاه أن هذه التحركات «ليس لهــا أيّ تضمينات دلالية أو تداولية»[٦٠] في التمثيل الإدراكي للمعنى، ومن ثم فهي مجرد تلوين تعبيري يأتي غالبًا لغرض تأكيد المعنى الأصلي. أما الانطــلاق مــن مفهوم (التفاعل بين البنية والوظيفة) فهو الذي يســتطيع الكشــف عن «الأمور المختلفة التي يفعلها المتكلمون باستخدام اللغة: كأن يتواصلــوا بالحديث عن العالم، أو أن يعلقــوا على مجريات العالم، أو أن يحــاول بعضهم إقناع بعض»[٦١]. ومع تنامي وضوح هذا المنظور التفاعلي نهض طرح مؤداه ضرورة «افتراض مستوى للعلاقات التداولية مميَّزٍ عن مستوى العلاقات الشكلية التركيبية (أو الدلالية)»[٦٢]. وهذا المكون المميز بات يُســمَّى بـ(المكون المعلوماتي The Informational Component) الذي يذهب دعاةُ الأخذ به إلى أن تمثيلات البنى المعلوماتية لا تحدِّد فحســب

(بحوث المؤتمر الدولي الثالث) قضايا في التراث اللغوي والبلاغي في ضوء لسانيات معاصرة
٨/٨/١٤٣٦هـ - ١٠/٨/٢٠١٥م

ما إذا كان مُخرَجًا معيّنًا مسموحًا به أو غير مسموح، وإنما أيضًا تغذّي التمثيلاتِ الدلالية والصوتيمية، ومن ثم تنظّم، مع أمورٍ أخرى، علاقاتِ الإسناد في الجملة، ومواضعَ البروز النبريّ فيها"[٦٢].

ومع تراكم معاناة نظرية (التحركات الأسلوبية) فقد اشتغلت بعض الدراسات على تعديل بعض مفاهيم هذه النظرية ومنظوراتها التحليلية. وهنا نشير مثلًا إلى اقتراح بعضَهم أنَّ تحليل ما يسمى بـ(التقديم الأسلوبي Stylistic fronting) - وهي إحدى المقولات المنضوية تحت مقولة (التحركات الأسلوبية) - لا ينبغي له أن يتمّ على أساس أن لهذه المقولة وجودًا بوصفها عملية نحوية مستقلة، وإنما على أساس تقليصها إلى مجرد مقولة فرعية تدخل تحت مفهوم (التبئير topicalization)[٦٤]. ولكن ذلك لم يعنِ إلا تحولًا من التعبيرية الأسلوبية إلى التحليلية الصورية؛ أي إلى مجرد وصف الظاهرة بأن «عنصرًا انتقل إلى موقعٍ متقدِّم في الجملة»[٦٥]. ولذلك وجدنا من يهُبّ ليقول «إن دراسة اللغة على أساس أنها منظومةُ خصائصَ صوريةٍ مرتبطةٍ بالمنطق والرياضيات والفلسفة لم تحرز نجاحًا ذا مغزى. وبدلًا من ذلك فقد كان على اللسانيات الحديثة أن تضع تركيزها على دراسة ما يجري في الحدث التواصلي وما يجري أثناءه»[٦٦]. وعلى ضوء هذا الإطار بدأت تنشأ اتجاهات نحوية قائمة على مبدأ يصوغه اللسانيّان Johanna Kuningas & Jaakko Leino بقولهما"إننا نعتقد أن كل الترتيبات التركيبية، أو كما نفضل: كل أنماط الترابط التركيبي، ذاتُ أهمية متساوية، ومن المطلوب دمجُها في الوصف النحوي"[٦٧].

وهنا يمكن للراصد أن يعاين تدخل التداوليات لتقرر أن ما نحن بحاجة لأن نسأل عنه ليس هو ما الترتيب الأصلي؟ وإنما هو: ما الوظائف

التواصلية التـــي يؤديها ترتيبٌ تركيبي معين، ويكون قيامه بهذه الوظائف هو معناه الأصلي المقصود الذي أناطه به المرسل؟ وفي هذا السياق علينا أن نلاحظ أنه حتى لدى الآخذين بالتقسيم الشكلي للجملة فإن (الجملة البســيطة) تؤدي وظيفة تواصلية يصوغها أحدهم بالقول إنها «تعمد إلى تقديم قدرٍ محدودٍ من المعلومات»[٦٨]. وبطبيعة الحال فإن المتكلم لا يقوم بهذا الاختيار إلا في وضعية يرى أنه لا يناسبها سوى إعطاء قدر محدود من المعلومات؛ وذلك كما في المواقف الآتية[٦٩]:

- الإعلان عن تقرير مباشر
- عرض قائمة بسيطة
- إعطاء توجيهٍ وجيز
- طرح سؤال

وهنـا لا بـد أن نقرر أننـا إذا قبلنا بأهمية هذا الســؤال وجوهريته؛ وأعنـي بذلك ســؤال: ما الوظائف التواصلية التـــي يؤديها ترتيبٌ تركيبي معين، ويكون قيامه بهذه الوظائف هو معناه الأصلي المقصود الذي أناطه بـه المرســل؟ فلا بد أن نقــف برهة لتحديــد منظور دقيق لاســتخدامنا للمنظـور التداولـي في تحليل قضيــة الرتبة. فالمعيار التداولي يُســتَخدَم أحيانًا في التحليل البنيوي الشكلي عندما يذهب هذا التحليل إلى أن من المعاييــر التي يمكن الاعتماد عليهـا لتحديد الرتبة الأصلية المعيارَ القائمَ على التداولية؛ بمعنى أن الترتيب المحايد تداوليًا هو أصل للترتيب الذي يحمل تأثيرات تداولية خاصة.

ووجــه اعتراضنا على هذا المعيار أننـا لا نرى وجودًا لترتيب محايدٍ تداوليًـا أصلًا. فكل ترتيب هو في ســياقه ذو غرض تداولي. ومن ثم فإن

قراءات معاصرة للتراث اللغوي في ضوء مقاصد الخطاب ونظريات التواصل والتداولية في التفكير اللغوي عند العرب
د. محمد عبد الباسط عيد
٢٠١٨/٨/٣١ م ١٤٤٠/١٢/٢٣ هـ

ما يقوله درايـر من أننا «في الممارســة، من الصعب عادة أن نبرر الدعاوى القائلــة بــأن ترتيبًا مــا هو من الناحيــة التداولية ليس محايــدًا»[٧٠]، هو قــول نــرى أن نقيضه هو الصواب. فالصعب هو أن نجد تبريرًا لأن يكون اســتعمال تركيب معين بترتيب معين اســتعمالًا يأتي بغير غرض تداولي.

ولنأخذ زوجي الجمل اللذين يوردهما درايـر[٧١]:

(43) a. Mary، I saw.

b. I saw Mary.

(44) a. Into the room came the Prime Minister.

b. The Prime Minister came into the room.

فهو يرى أن الجملة الأولى من كل زوج هي التي تحمل تأثيرًا تداوليًّا؛ ومن ثم فالجملة الثانية في كل زوج هي محايدة تداوليًّا. ومن جانبنا فإننا نرى أن كل قول في كل زوج هو حاملٌ لإبلاغٍ تداولي مغاير لما يحمله القول الآخر داخل الزوج نفســه. وهذا ما يتقرر بناء على حقيقة أساســية وهي أن هذه الأقوال تأتي في سياقات مواقفَ تواصلية. ومن ثم فقولة (I saw Mary) مثلًــا يمكــن أن تعني في ســياق معين أن المتكلــم يريد تأكيد رؤيته لماري فحســب دون غيرها؛ فهو يثبــت صريحًا، وينفي ضمنيًّا. وقد تعني في ســياق آخر أن المتكلم عندما رأى فتاة تشــبه ماري أراد أن يظهر هذا الشــبه القــوي بقوله هذا؛ فهو لا يريد أن يخبر عــن أنه رأى ماري وإنما يريد أن يخبر عن معلومةِ إدراكِه للشــبه الشــديد بين الفتاتين. ولعل ذلك التحليل يصب في الاتجاه نفسه الذي جعل أحد الرواد المهمين للبلاغيات التداوليــة في ســتينيات القــرن الماضي؛ وأعني به للويــد بيتزر Lloyd F. Bitzer يقول "إننا لكي نبيّن أن البلاغة مرتبطة جوهريًّا بالموقف لا بد أن

نسـلِّمَ بالرأي البسيط، ولكنه الرأي المبدئيّ؛ وهو أن العمل البلاغي عملٌ تداولـي؛ أي أنه جاء من أجل شـيء يقع وراءه. إنـه يتغيَّا إنتاج حدث، أو يتغيَّا تغييرًا في العالم؛ أي أنه يؤدي مهمة... وبهذا المعنى فالعمل البلاغي دائمًا عمل إقناعيّ"[٧٢]. وبتطبيق بسـيط لهـذه الفكرة نأخذ مثلًا الجملة التي يقول النحويون العرب إن الخبر فيها مقدم وجوبًا:

- **ما ناجحٌ إلا المُجِدُّ**

فالنحويـون يقولـون إن هذا الترتيب إجبـاري؛ لأن المتكلم أراد قصر المسند (ناجح) على فئة المسند إليه (المُجِدّ). ومعنى ذلك أن الغاية الإقناعية في بلاغة هذه الجملة هي اسـتبعاد كل الفئات الأخرى من الدخول تحت المسـند. فإذا بحثنا قليلًا عن البلاغة الإقناعية التي تستدعي من المتكلم اللجـوء إلـى هذا الترتيب التركيبي فإننا نقـول إن المتكلم بهذه الجملة لا بـد أن يكـون في موقف حجاجي ضـد زعم يرى أن غيـر المُجدّ قد يكون ناجحًـا. وهـذا موقف مغاير تمامًا لمقتضى بلاغـة (التقرير الخبري) في الجملـة (المُجِـدُّ ناجح) التي يقـال إنها (الأصل)! وبنـاء على ذلك يمكن القول إن التحديد من منظور الوظائف النحوية يجعل الجملتين متماثلتين نحويًـا. ولكن التحديد مـن منظور التداول يجعل كل جملة منهما ناهضة بدلالـة مغايرة. ولا شـك أن هـذا المنظور الثاني هو الـذي له تعلق وثيق بالقيمـة الإدراكية، أو بالأثر الإدراكي، للاسـتعمال اللغـوي. فما يجمعه النحو يُفصِّلُه الإدراك.

وفي مثل هذا الإطار نهضت دراسـات كثيرة في اللسـانيات المعاصرة حاولت أن تربط قضية الرتبة بالأبعاد التداولية. وعلى سـبيل المثال نجد أن اللسـانية ديـان هنتز التي قدّمت دراسـة عن التداوليـات والرتبة في

بحوث محكمة مقدمة في المؤتمر الدولي الثالث (التراث اللغوي في ضوء اتجاهات معاصرة) ٨/٨/١٤٣٠هـ ٣١/٧/٢٠١٠م

إحدى لغات أهل أمريكا الأصليين تحدد ســت وظائف تواصلية لتنوعات ترتيب الجملة في هذه اللغة. فهذا التنويع - وفقًا لاستقصاءات دراستها- يحدث عندما[٧٣]:

١- يتم دخول مشارك جديد

٢- يدعو المتكلم انتباهَ المخاطب إلى مُحَالٍ إليه referent معين

٣- يكــون المتكلم في حــال إنهاءٍ لكلامــه، وحال تهيئةِ المجــال للمخاطب للتعليق

٤- يتم تقديم شيء غير مألوف أو مضاد للتوقع

٥- يكون المتكلم في حال بحثٍ عن كلمة ملائمة

٦- يكون إيراد الحجة ثقيلًا بشكل خاص

وكان مــن نتائــج تراكم مثل هذه الدراســات أن انبثقت توصيات مثل القول بأنه «لابد من إعادة كتابة قواعد وأنظمة سيميائية لهذه اللغة تبعا لفن الحوار والاتصال والاستقبال ، ورسم أبجديات مرجعياتها وسياقاتها ومقاماتها والبحث عن ســننها وفق معطى يهتم كثيرًا بالأنظمة السياسية ولا يهتم كثيرًا بالأنظمة اللسانية بقدر اهتمامه براهن العبارة والنص في استقباله وتأويله»[٧٤].

وفي مســار أخذ التداوليات بمبدأ (الســياق) على أنه مبدأ تفسيري للدلالة، تمّ إقرار حقيقة أن "الحساســية السياقية context-sensitivity والمغــزى الإدراكــي cognitive significance ظاهرتــان لا يمكن الفصل بينهما[٧٥].

ولقــد تواتــر حديــث الباحثين عــن (وظائــف الخطــاب في تغيرات

الرتبــة)؛ ومن ذلك مثلًا بحث بيليانا ميشــيتش إليتش *Biljana Mišić Ilić* (وظائــف الخطاب في تغيــر الرتبة في الجمل الإنجليزيــة الإخبارية)[٧٦]، وقــد اشــتغلت على ١٠٠٠ صفحة من النثر الإنجليــزي؛ فحلَّلت الجوانب التركيبيــة والدلالية والنصية والتداولية لـ١٥٠٠ مثالٍ مســتعملٍ بتغيُّرٍ في الرتبة؛ ومن ثم بيَّنت الأدوارَ الخطابية التي تنهض بها هذه التغيرات. وفي هذا السياق نذكر قول توين فان دايك «إن الاختيارات المعجمية، والرتبة، قد يكون لهما وظيفة في الســياق التواصلي، أو في تمثيلنا الذهني (حيث إمكان التحيز) في الموقف التواصلي»[٧٧].

وفي هذا الســياق يمكن للتوضيح الوجيز أن نشــير مثلًا إلى الضابط التداولــي لتوالي النعــوت والصفات. ولقد كان هنــاك مقترحات متعددة لتقنــين صارم لهذه الضوابط التداولية. فكان ثمة اقتراح بأن ذلك يعتمد على نمط المفهوم؛ بمعنى أن النمط كذا يســبق النمط كذا. وفي هذا جاء الاقتراح بأن التوالي يخضع للتراتب التالي[٧٨]:

الكمية > القيمة > الخاصية الطبيعية > العمر > اللون

ووضعتْ المتواليةُ الآتية كضابط في اللغة الإنجليزية:

صفة دالة على عدد الموصوف	
صفة دالة على رأي الواصف في الموصوف	
صفة دالة على حجم الموصوف	
صفة دالة على عمر الموصوف	
صفة دالة على شكل الموصوف	
صفة دالة على لون الموصوف	
صفة دالة على أصل الموصوف	
صفة دالة على مادة الموصوف	
صفة دالة على غرض الموصوف	
الاسم الموصوف	

ثم جاء اقتراح آخر بأن الخصائص الموضوعية تكون أكثر قربًا من الاسم،

والخصائص الذاتية تكون أكثر بعدًا[٧٩]؛ فنقول مثلًا:

- جاء الرجل القصيرُ الضاحكُ

ولا نقول في العادة:

- جاء الرجل الضاحكُ القصيرُ

فـإذا قلنا هذا التركيب الأخير مع ضغطٍ معين على (الضاحك) فإن ذلـك يكـون لمقتضى تداولي هو الـذي فرض هذا الاسـتعمال. وفي هذا يذهـب الدارسـون إلـى أن الصفات التي يقـع عليها تبئيـر focus تمثّل اسـتثناءً من قيود الرتبة في الصفـة[٨٠] *Adjective Ordering Restrictions*.

ومن ثم يمكن الرد على عدم تجويز مُركّباتٍ اسميةٍ مثل[٨١]:

- الطالبُ الأشقرُ المصريُّ...
- السطرُ النحيلُ الأزرقُ...
- المرأةُ البدينةُ العجوزُ...

والمسـألة في تصوري ليسـت بالقول بالاستثنائية، أو بالجواز أو عدم الجـواز، وإنما هي بالمقتضيات التداولية، وبخاصة ما يتعلق بتأثير البنى المعلوماتية التي دلّلت دراسات كثيرة على صلتها الوثيقة بالترتيب الخطي لمكونات الجملة:

ففي المقولين الآتيين مثلًا:

- الجاحظُ مؤلفُ كتابِ (البيان والتبيين)
- مؤلفُ كتابِ (البيان والتبيين) الجاحظُ

تختلف الوظيفـة الإبلاغية من جهة أن التركيب الأول غرضُه تقديمُ معلومة عن الجاحظ، وأن التركيب الثاني غرضُه تقديم معلومة عن مؤلف

البيان والتبيين. وعلى هذا يصبح القول النحوي في إعراب الجملة الثانية بأن ثمة إمكانًا لإعراب (مؤلف كتاب البيان والتبيين) على أنه خبر مقدم؛ أي أنــه تقديم على نية التأخير، قولًا يُسـقِط الغرضَ التداولي الوظيفي الذي قصده مرسل هذا القول، كما أنه يغفل زاوية المتلقي الذي لا يجهل كتــاب البيان والتبيين وإنما يجهل مَــن مؤلفه. ولعل هذا ينطبق على قول النحــاة العرب بجواز إعراب مخصوص المدح أو الذم بأنه مبتدأ أو خبر، ففي المقولين الآتيين:

- نِعم الرجلُ محمدٌ
- محمدٌ نِعم الرجلُ

التركيب الأول ينتمي إلى تبئير الجملة بكاملها، حيث قصْدُ المرســل هو إخبار الســامع أنه يمدح شــخصًا، وأن هذا الشخص هو محمد. أما التركيب الثاني فهو ينتمي إلى تبئير المســند فحســب (نعم الرجل)؛ حيث قصــد المتكلم أن محمــدًا الذي يعرفه هو والمخاطــب؛ أي هو (الموضوع) بالتعبيــر الاصطلاحــي، ممدوحٌ لــدى المتكلم. قبل إنشــاء التركيب الأول المخاطبُ لا يعرف مَن هو الممدوح عند المتكلم. وقبل إنشاء التركيب الثاني المخاطبُ يعرف محمدًا ولكنه لا يعرف موقف المتكلم من محمد.

وهنــا نصــل إلى مــا تريد هذه المقالــة أن تقرره وهــو أن ثمة حاجة حقيقية لإعادة النظر في قضية الوصف اللســاني لـ (الرتبة في العربية). وذلــك مــن منطلق أن أفضل نظرية لســانية هي تلك التــي تقوم بوصف الكفاءات المتعددة التي يقوم عليها التواصل اللغوي.

ولا شــك أن دراسة الرتبة من خلال سياقات النصوص والخطابات التواصليــة الفعليــة ســيلقي كثيــرًا من الضوء علــى أبعادهــا التداولية.

ففي سياقات معينة سنجد أن ما أجازه النحاة في حركية الرتبة تأباه النصوص بشكل ظاهر. وما ذلك إلا لأن (النص) - في المحصلة- هو (بنية معلوماتية). فإذا أخذنا بما ذهب إليه هاليدي Halliday حين أشار إلى أن "توزيع الخطاب إلى وحدات معلوماتية أمر إجباري؛ بمعنى أن النص يجب أن يتكون من سلسلة من مثل هذه الوحدات"(٨٢)، وإذا أخذنا في الحسبان بقول شاف Chafe إن البنية المعلوماتية هي "ظاهرة تعبئة المعلومات التي تستجيب للحاجات التواصلية القائمة بين المتخاطبين"(٨٣)، فإن كل ذلك يدفعنا إلى القول بأن كل ترتيب للوحدات اللغوية في النص إنما هو خاضع لمقتضيات بنيته المعلوماتية التي تقتضيها بدورها أغراضُه التداولية.

ولعلي أختم هذه المقالة بمثال أقف فيه على نص قصير مجتزأ من حكاية المثل العربي الشهير (إن غدًا لناظره قريب)(٨٤). وسأضع جدولًا من خانتين أضع في الأولى هذا النص كما هو وارد في الحكاية، وأضع في الثانية النصَّ نفسه بعد إجراء إعادة الترتيب على جمل معينة منه. ولا شك أن القارئ سيكتشف بالنظرة المقارنة كم ستتحطم الأبعاد التداولية التي يستشعرها في النص الأصلي من جراء هذه الإعادة الترتيبية على الرغم من أنها، أي الإعادة، التزمت بالأصول المعيارية في الجواز المنصوص عليه في القواعد النحوية (انظر الجدول).

وبطبيعة الحال فإن سياق هذه المقالة لا يتسع لتحليل موسع للاقتضاءات التداولية التي تجعل الخروج على وضعيات الرتبة كما وردت في النص أمرًا يهدد انتظام بنيته المعلوماتية، ومن ثم يقلّص كفاءته الإبلاغية. ولذلك سأكتفي بتحليل مثالين تركيبيين فحسب هما:

- وكان لديه فرسٌ اسمُه اليحموم
- وكان أن امتطي صهوةَ هذا الفرس يومًا للصيد.
- **التركيب الأول:** وكان لديه فرسٌ اسمُه اليحموم

هذا التركيب يحتمل من الناحية النظرية أن يتشكل كما يأتي:

- وكان فرسٌ اسمُه اليحمومُ لديه[٨٥]
- وكان لديه فرسٌ اليحمومُ اسمُه

والسؤال إذن: لماذا ورد في النص على النحو الذي ورد به وليس بصورة أيٍّ من الصورتين الأخريين؟. والإجابة تتمثل في أن الموقف التواصلي لخطاب النص يشتغل على التدرج الطبيعي الذي يقتضيه نسقُ إيراد المعلومات في سياق هذا النص: فمعلومة (له اسم) أعمّ من معلومة (اليحمومُ اسمٌ). ومعلومة (له اسم) أهمُّ عند المتلقي من معلومة (اليحموم اسم). ولو كانت الجملة هي (اليحمومُ اسمُه) لكان معنى ذلك أن النص يفترض أن المتلقي لديه هذا الاسم/ الوصف (= اليحموم)، ولكنه يجهل علاقة هذا الاسم بهذا الفرس: هل هو اسمه، أم لقبه، أم هو اسم لغيره...إلخ؟. ولكن الجملة حين جاءت بالترتيب الواردة به فقد اتسقت مع قاعدة معلوماتية عامة هي أن هذا الفرس له اسم، شأنُه شأنُ أيِّ فرس يقتنيه الكُبَراء، ثم تنزلتْ إلى التخصيص بذكر أن هذا الاسم هو (اليحموم).

- **التركيب الثاني:** وكان أن امتطي صهوةَ هذا الفرس يومًا للصيد

هذا التركيب يحتمل من الناحية النظرية أكثرَ من تشكُّلٍ، ولكننا نكتفي بالتشكل الآتي:

- وكان أن امتطي للصيد صهوةَ هذا الفرس يومًا.

وهذا الاختيار لهذا التشكل معنيٌّ برتبة (المفعول لأجله) - ويمثله في التركيب (للصيد)- بالنسبة إلى أجزاء الجملة الفعلية. فالدكتور تمام حسان يرى أن ترتيب مكونات الجملة الفعلية يمضي على النحو الآتي:

فعل	فاعل	مفعول به	مفعول معه	مفعول مطلق	ظرف زمان	ظرف مكان	مفعول له
ضرب	تُ	زيدًا	وطلوعَ الشمس	ضربًا شديدًا	يوم الجمعة	في داره	تأديبًا له[٨٦]

ومن الواضح في جملة النص التي نحن صدَدَها أن (المفعول لأجله: للصيد) يقع في الطرف الأقصى للترتيب. وقد يقال هنا إننا إزاء حالة من الالتزام بالترتيب الأصلي لرتبة المفعول لأجله. ولكننا نرى أن إيراد (المفعول لأجله) هكذا متأخرًا في الترتيب يتعلق بأن المعلومة الخاصة بسببية خروج النعمان ليست في صدارة التركيز؛ لأن (الصيد) حالة تكرارية معتادة في سبب حدث خروج النعمان. وسيبين من خطاب النص وسياقه أن القصة برمتها لم تكن البطولة فيها للصيد. ومن ثم فنحن نتصور أن محددات القصد التداولي تجعل ترتيب العناصر في أي تركيب أمرًا خاضعًا لتنوعات سياق الاستعمال وأغراض التواصل فيه. ففي قول عمر بن ربيعة مثلاً:

لِحُبِّكِ أَحبَبتُ مَن لَم يَكُن صَفيّاً لِنَفسي وَلا صاحِبا

يبدو تقديم مركَّب المفعول لأجله (لحبك) ضرورة إدراكية قصدية تختلف عن ورود التركيب بصور أخرى مثل:

- أحببتُ لحبِّك من لم يكن...

وسيصبح التركيبُ مخففًا في أداء هذا المعنى المقصود بالتقديم لو

أنه جاء بصورة:

- أحببتُ من لم يكن صفيًّا لنفسي ولا صاحبًا لحبك

ولذلــك فإنــه قد يكون لنا أن نختلف مع الوقفة التحليلية التي وقفها تمام حســان حين يقول مباشــرة بعد إيراد رؤيته للترتيب الأصلي للرتبة غيــر المحفوظــة في العربيــة "إذا قرأنــا (أأفـكًا آلهــةً دون اللّهِ تُريدون) (الصافات:٨٦) ونظرنا إلى ترتيب الأبواب الســابق وجدنا المفعول لأجله وهو آخرها رتبةً قد تصدر هذا الشاهدَ يتلوه المفعول به ونعته، فعلمنا أن أول مــا تعلق به الاهتمام هو الســببية التي عبــر عنها المفعول لأجله، لأن الكفر عن ضلال قد تُرجى له الهداية، أما الكفر عن إفك فذلك انحراف مع تدبير وكيد وإصرار... ومعنى ذلك أن التقديم وهو أسلوب عدولي عن أصل الرتبة ومؤشــر أســلوبي إنما يكون لغايات تتصل بالمعنى»[٨٧]. ووجه الاختلاف الذي نراه هو أن الأمر ليس من باب (العدول الأسلوبي) الذي يفضي الأخذ به إلى تعادل المعنى الأصلي - أو القضوي- بين مساق الآية علــى النحو الذي ســيقت به ومســاقها لو كانت (أتريــدون آلهة دون اللّه إفكًا). وتلاحظ هنا أن تمام حسان يقر بأن الترتيب الذي جاءت به الآية إنمــا هــو «لغايات تتصل بالمعنى»؛ أي أن الأمر أمــر دلالي يتعلق بمقصد المرســل من هذا الترتيــب دون غيره. فتبئير (أأفكًا) بهــذا الترتيب جعل (الإفــكَ) حُكمًــا على هــذه الإرادة التي يريدها من يريــد آلهة دون اللّه. فالمفعــول لأجلــه حين تصدر هنا أصبح ســببًا وحكمًــا في آن على الفعل الوارد.

خلاصة:

في هذا البحث حاولت أن أقدم جملة من الاستدلالات على أن الترتيب التركيبـــي أمر وثيق الارتباط بمحددات الخطـــاب وغاياته التداولية التي يســـتهدفها مرســـل الرســـالة اللغوية، ويقتضيها ســـياق الموقف والعلاقة والأعـــراف الثقافية بين هذا المرســـل ومتلقي خطابـــه. ولقد كان المنظور الـــذي يؤكـــد نهوض علاقة التلازم بين الهيئة الترتيبيـــة للتركيب والتعبئة المعلوماتية التي تحملها هذه الهيئة هو المنظور الإبستمولوجي الذي عالج البحـــث من خلاله موضوعه. ومن ثم فإن البحـــث وقف بالتقدير العلمي لبعـــض الالتفاتـــات التراثيـــة في النحـــو والبلاغة ولـــدى الأصوليين، مما يكرّس لتأســـيس هـــذه الرؤية التداولية. والبحث يرى أنه يمكن اســـتثمار هذه المعطيات التراثية في قيام وصف تداولي لخطاب الرتبة في العربية. كذلـــك فـــإن البحث وقف إلى جانـــب تلك الدعوات التي تشـــهدها بعض الاتجاهـــات اللســـانية المعاصرة، والتـــي تذهب إلى أن القـــول بأن البنية المعلوماتية هي جزء من النظام القاعديّ للغة، وأن هناك ســـمات نحوية، وسمات تأليفية، غرضُها الوحيد هو الإشارة إلى تمييزات متعلقة بالبنية المعلوماتيـــة للتركيب. ومن ثـــم فالترتيب التركيبي هـــو ترتيبٌ تفرضه في سياقه التداولي المقتضياتُ والمحددات المعلوماتية المستهدَفة بين أطراف الخطاب التواصلي.

النص الأصلي	النص بعد إجراء إعادة الترتيب
يحكى أن النعمان بن المنذر كان يهوى الصيد، وكان لديه فرسٌ اسمُه اليَحموم. كان سريعَ العدو. وكان أن امتطي صهوةَ هذا الفرس يومًا للصيد. ورأي حمارًا وحشيًّا وأراد صيده. وكان هذا الحمار سريعَ الجري؛ فتتبعه النعمان بن المنذر حتي ضل طريقه في الصحراء؛ فلا هو استطاع أن يرجع إلي قصره، ولا هو استطاع أن يصطاد الحمار. وأثناء حيرته لمح من بعيد خيمة في الصحراء، فاقترب منها، وشاهد في داخلها رجلًا وامرأته. وأحس الرجل والمرأة بالقادم إلي الخيمة عندما صهل الحصان الذي يركبه. كان رجلًا مهيبًا يدل منظره وملابسه علي أنه إنسان مهم! ودخل النعمانُ بن المنذر الخباءَ، وكان علي وجهه أثر السفر، وبدا علي وجهه الإجهاد. لم يعرفاه أولَ الأمر. وطلبا منه أن يستريح. ولم يكن لدي الرجل - وكان يُسمَّى حنظلة - سوي شاة وبعض اللبن، فقدَّما له الشاةَ بعد أن ذبحها الزوج، وقدَّمت المرأةُ له اللبن. وبات النعمانُ ليلتَه في هذا الخباء. وفي الصباح أخذ طريقه إلي قصره، بعد أن دلَّه الرجلُ علي الطريق إليه، بعد أن عرف أنه النعمان بن المنذر. قبل أن يغادر النعمانُ الخباءَ قال: - يا أخا طَي.. عرفتَ أنني الملكُ النعمانُ فاطلب جزاءَ ما قدَّمتَ لي. وردَّ عليه الرجل: - أفعل هذا إن شاء الله.	يحكى أن النعمان بن المنذر كان الصيدَ يهوى، وكان لديه فرسٌ اليحمومُ اسمُه. كان سريع العدو. وكان أن امتطي للصيد صهوةَ هذا الفرس يومًا. وحمارًا وحشيًّا رأي وأراد صيدَه. وكان سريعَ الجري هذا الحمارُ. فتتبعه النعمانُ بن المنذر حتي ضل في الصحراء طريقَه. فلا هو استطاع إلى قصره أن يرجع، ولا هو استطاع أن يصطاد الحمار. ولمح من بعيد في الصحراء خيمةً أثناء حيرته، فمنها اقترب، وشاهد رجلًا وامرأته في داخلها. وأحس بالقادم إلي الخيمة الرجلُ والمرأة عندما صهل الحصان الذي يركبه. كان رجلا مهيبًا يدل علي أنه إنسان مهم منظرُه وملابسُه! ودخل الخباءَ النعمانُ بن المنذر، وكان أثرُ السفر علي وجهه، وبدا الإجهاد علي وجهه. لم يعرفاه أول الأمر. وطلبا منه أن يستريح. ولم يكن سوي شاة وبعضُ اللبن لدي الرجل - وكان حنظلةَ يُسمَّى. فقدَّما الشاةَ له بعد أن ذبحها الزوجُ، وقدمت اللبنَ له المرأةُ. وبات ليلتَه في هذا الخباء النعمانُ. وآخَذ في الصباح إلى قصره طريقَه، بعد أن دلَّه علي الطريق إليه الرجلُ، بعد أن عرف أنه النعمانُ بن المنذر. قبل أن يغادر الخباءَ النعمانُ قال: - يا أخا طَي.. عرفتَ أنني النعمان الملك فاطلب جزاء ما قدمت لي. والرجل رد عليه: - إن شاء الله أفعل هذا.

المراجع والتعليقات:

١. عبـد القاهر الجرجانـي: دلائل الإعجاز، طبعة ٢٠٠٠م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص٤٣

٢. مـن التعريفـات المقبولة لمفهوم (العمل المشـترك) أنه "أي شـكل من التفاعل الاجتماعـي يقـوم فيه شـخصان أو أكثر بتنسـيق أفعالهما في المـكان والزمان لإحداث تغيُّر في البيئة المحيطة". انظر: *Sebanz. N., et al (2006): 'Joint Action: Bodies and Minds Moving Together. In: TRENDS in Cognitive Sciences. Vol. 10 No.2, pp. 70–76.*

3. *Maria Josep Cuenca: Cognition, pragmatics and grammar. In: Noves SL. Revista de Sociolingüística. Winter 2003. PDF on: http://www.gencat.cat/llengua/noves*
4. *Margarida Bassols Puig: (Pragmatics and discourse analyy sis). In: Noves SL. Revista de Sociolingüística. On: http:// www.gencat.cat/llengua/noves Winter 2003*
5. *Ibid.*
6. *Laura Alba-Juez: Discourse analysis and Pragmatics: Their Scope and Relation. In: Russian Journal of Linguistics, 2016, 20 (4), 43—55.*
7. *David Crystal, 1997, A dictionary of linguistics and phonetics. p.301, 4th edition. Cambridge, MA: Blackwell.*
8. *Canale, Michael & Merrill Swain (1980): Theoretical Bases of Communicative Approaches to Second Language Teaching and Testing. P. 6. In: Applied Linguistics. V.1 , N.1. p.* وانظـر أيضًـا : *Elvira Koran (2016): Developing Sociolinguistic and Pragmatic Competences in English as Foreign Language (EFL) Students at University Language Schools (Iraqi Case). (Extended Abstract of Ph.D. Dissertation). On: https://www.ibsu.edu.ge/Upload/.../elvira-koran-final-eng-abstr.pdf*

9. *Martin Howard: On the relationship between sociolinguistic and grammatical development. A longitudinal case-study of L2 French. On: www.eurosla.org/wp-content/uploads/2015/02/ Howard.pdf*

10. *Ibid.*

11. *Robert J. Matthews (2003): «Does Linguistic Competence Require Knowledge of Language?. in Alex Barber (ed.): Epistemology of Language (Oxford University Press). pp. 18721 3-.*

١٢. قبايلي عبد الغني (٢٠١١): النظرية اللسانية العربية الحديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية عند مازن الوعر. على:

http://revue.ummto.dz/index.php/pla/article/download/396287/

13. *Lewis (1983). p. 184. Cited by: Stephen Schiffer: Meaning and Formal Semantics in Generative Grammar. P. 74. In: Erkenntnis (An International Journal of Scientific Philosophy) 80(1):61–87. 2015.*

14. *Bruno G. Bara Cognitive pragmatics: The mental Processes of Communication. P. 443. In: Intercultural Pragmatics 8-3 (2011). 443–485.*

15. *Jan Zienkowski, Jan-Ola Ostman and Jef Verschueren (eds.): Discursive Pragmatics. P. 266. John Benjamins Publishing Company.*

16. *Ibid. P. 269*

17. *Kriszta Szendroi (2014): Focus and the interaction between syntax and pragmatics. In: Lingua 114 (2004) 229–254. on: www.elsevier.com/locate/lingua 0024-3841/*

١٨. الكتاب ٣٢/١

١٩. الكتاب ٣٤/١

20. *Guenever Johanna van der Wal (2009): Word order and information structure in Makhuwa Enahara. P. 135. Doctoral Thesis, Leiden University. On: https://openaccess.leidenuniv.*

nl/handle/1887/13845

21. *Thomas McFadden (2004): "The position of morphological case in the derivation: a study on the syntax-morphology interface". Chapter 5: On morphological case and word-order freedom. P. 149. Dissertation in University of Pennsylvania. Philadelphia. On: ftp://ling.upenn.edu/studentpapers/tmcfadde/diss_ch5.pdf*

٢٢. انظر للمزيد من التفصيل::
Keith Allan (1986): Linguistic meaning. Vol. 11. P. 59. Routledge & Kegan Paul.

٢٣. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز. تصحيح السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت ١٩٧٨ ص.٢٢٣ -٢٢١

٢٤. من الوجهة الإعرابية في النحو العربي تظل الوظيفتان النحويتان المسندتان إلى (أيضًا)؛ وهما: أنها (مفعول مطلق) عامله محذوف ومعناه: عاد عودًا، أو (حال) من ضمير المتكلم حذف عاملها وصاحبها؛ أي: أخبر أيضًا، أو أحكي أيضًا: أي: راجعًا - [انظر مثلًا: محمد سعيد إسبر، بلال جنيدي: الشامل: معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها (أيضاً). دار العودة- بيروت- ط٢- ١٩٨٥م] أقول: تظل هاتان الوظيفتان غير مبينيتن عن تلك المعانى التي يقتضيها الترتيب الموقعي حسبما أوضحنا أعلاه.

25. *Gabriela Mišší́ková (2007): pragmatic dimensions in Stylistic Analysis. P. 92. In: BRNO STUDIES IN ENGLISH 33. On: https://digilib.phil.muni.cz/.../I_BrnoStudiesEnglish_33-2007-1_8.p...*

٢٦. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز. ص ١٠٦ وما بعدها.

٢٧. السابق نفسه. ص١٩٠

٢٨. السابق نفسه. ص١١٠

٢٩. السكاكي: مفتاح العلوم - تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ،

بيروت ، لبنان ، (٢٠٠٠) ص ١٢٥.

٣٠. الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف. المسألة ٢٨، ص ٢٣٦

٣١. يلاحظ مثلًا ميل اللغات إلى أن تجعل الأسماء التي تنتمي إلى الفئة الأولى (فئة النوع الإنساني) تحتل مواقع ابتدائية في الجمل. ولإبراهيم أنيس في هذا السياق ملحوظة مهمة. فهو يرى أن ترتيب أجزاء الجملة يعتمد على وضوحها في الأذهان، وعلى درجة قربها للآذان. ومن ثم فهو يذكر ما دلّت عليه التجارب المتعددة من أن "مثل هذا الترتيب يبدأ بالأسماء المحسوسة ومنها الأعلام، ثم الأسماء المجردة أو المعنوية ومعها الأفعال وأخيرًا يُعنى الذهن بالأدوات وأشباهها". انظر: د. إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة. ص٢٨٠.

٣٢. انظر للتفصيل: د. مصطفى جمال الدين: البحث النحوي عند الأصوليين. ص٧٢- ٢٧٣. دار الهجرة - ط٢- ١٤٠٥هـ.

٣٣. انظر للتفصيل: د. مصطفى جمال الدين: البحث النحوي عند الأصوليين. ص٧٢- ٢٧٣. دار الهجرة - ط٢- ١٤٠٥هـ.

٣٤. محمد محمد صادق: محاضرات في علم أصول الفقه. ١/ ٢٩٠

35. الزملكاني: التبيان في علم البيان. ص٧٤ (تحقيق احمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ط١ ،١٩٦٤

٣٦. السابق. ص٧٤- ٧٥

٣٧. الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة. شرح وتعليق عبد اللّه دراز - ٣/ ١٤٠ (دار المعرفة، بيروت، ط٣ -١٩٩٧).

38. Hyman Hurwitz (1832): The Elements of the Hebrew Lanm guage. P. 250. The University of London. Cited p. 9 in: Katsuomi Shimasaki (1999): Focus Structure in Biblical Hebrew: A Study of Word Order and Information Structure with Special Reference to Deutronomy. (A Thesis) PDF on: eprints.glos.ac.uk/3323/1/284755_Redacted.pdf

٣٩. د. إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة. ص٢٨١، الأنجلو المصرية - القاهرة-

قراءات معاصرة مقدمة في المؤتمر الدولي الثالث (التراث اللغوي والأدبي في ضوء المناهج الحديثة) بحوث محكمة مقدمة في التراث اللغوي والأدبي في ضوء المناهج الحديثة ٨/٨/١٤٣١هـ ٢٠١٠/٨/١٩م

(ط٦- ١٩٦٦م).

40. Alec King & Martin Alfred Ketley (1939): The control of language : a critical approach to reading and writing.

ويبدو أن أنيس سها هنا فلم يذكر سوى أحد المؤلفين Alec King تاركًا ذكر الآخر !

٤١. السابق نفسه. ص ٢٨٣- ٢٨٤ وقارن: جوزيف فندريس، بتعريب عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص: اللغة. ص ٢٨٢- ٢٨٣. الأنجلو المصرية- ١٩٥٠م.

٤٢. د. إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة. ص ٢٨٩

٤٣. تمام حسان: الأصول: دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٨٢ ص ١٤

٤٤. السابق نفسه، ص١٣٠

٤٥. تمام حسان: الخلاصة النحوية. (عالم الكتب - ٢٠٠٠م) ص٨٣

٤٦. السابق نفسه. ص٨٣

٤٧. السابق نفسه. ص٨٦

48. Edward Sapir: Language: (1921, reprinted 1978): An Introduction to the Study of Speech. P. 65. Granada.

49. Bloomfield (1962): The Menomini Language. p. 440. Cited in: Jeff Mühlbauer: Word-order and the Interpretation of Nominals in Plains Cree. PDF on: https://pdfs.semanticscholar.org/.../b411df44e8e607850d3094b7b40...

50. Mousa A. Btoosh (): Case and Word Order Alternation in Standard Arabic: An Optimality Theoretic Account. In SKASE Journal of Theoretical Linguistics [online]. 2017, vol. 14, no.1 [cit. 2017-06-18]. Available on web page http://www.skase.sk/Volumes/JTL34/pdf_doc/03.pdf. ISSN 13- qvf .d]R ulvhWh36-782X

51. Harald Hammarström (2015):The Basic Word Order Typology: An Exhaustive Study. Leipzig.

٥٢. آخذ هنا بترجمة clause عند د. موسى بن مصطفى العبيدان في كتابه دلالة

تراكيب الجمل عند الصوليين. ص ١٥. دار الأوائل- دمشق- ط١: ٢٠٠٢م؛ حيث مثّل لها بجملة الشرط وجملة الصلة والجملة الواقعة فاعلًا...إلخ.

53. «Sentence structures», EL Paso Community College. On: https://www.epcc.edu/CollegeReadiness/Documents/Quik_Tips.pdf

54. Diane M. Hintz: Pragmatics of Word Order in South Conchucos Quechua . p. 43, in: Jeanie Castillo (Ed.) (2003): Proceedings from the sixth Workshop on American Indigenous Languages. Department of Linguistics, University of California, Santa Barbara.

55. Matthew S. Dryer (2007):"Word Order", p. 76, in: Language Typology and Syntactic Description Second edition, Volume I: Clause Structure. Cambridge University Press.

56. Mousa A. Btoosh (2017): Case and Word Order Alternation in Standard Arabic: An Optimality Theoretic Account. In SKASE Journal of Theoretical Linguistics [online]. 2017, vol. 14, no.1 [cit. 2017-06-18]. Available on web page http://www.skase.sk/Volumes/JTL34/pdf_doc/03.pdf. ISSN 1336- 782X.

57. Abdelkader F. Fehri (1993): Issues in the Structure of Arabic Clauses and Words. P. 16. Springer Science + Business Media Dordrecht.

٥٨. أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي: الأصول والامتداد. منشورات دار الأمان الرباط ٢٠٠٦.. بتصرف.

59. Rodionova, Elena V. 2001: Word Order and Information structure in Russian Syntax. P.2. Grand Forks, North Dakota. 2001. On: https://arts-sciences.und.edu/summer-institute-of.../2001-rodionova-elena.pdf

60. Dennis Ott: Stylistic fronting as remnant movement. Working Papers in Scandinavian Syntax 83 (2009) 141–178. On:

citeseerx.ist.psu.edu/viewdoc/download?doi=10.1.1.530...pdf

61. *Christopher Hart (2014): Discourse, Grammar and Ideology: Functional and Cognitive Perspectives. P.1. Bloomsbury Academic.*
62. *Ceyhan Temürcü (2002): The interaction of syntax and discourse in word order: data from Turkish. Pdf on: www.phil-fak.uni-duesseldorf.de/summerschool2002/Ceyhan-Pap.pdf*
63. *Aviad Eilam (2011): "Explorations in the Informational Component". Publicly accessible Penn Dissertations. On: http://repository.upenn.edu/edissertations*
64. *Diane M. Hintz. Op cit. p. 146*
65. *Dryer, op cit. p. 78*
66. *Armando González Salinas (2001):The Relation between Syntax, Semantics and Pragmatics. p. 15- 16. In: Revista de Humanidades: Tecnológico de Monterrey, núm. 11, 2001, pp. 13-19. On: www.redalyc.org/pdf/384/38401101.pdf*
67. *Johanna Kuningas & Jaakko Leino (2006):Word Orders and Construction Grammar. P. 301. In: Suominen, M., A. Arppe et al (eds). A Man of Measure: Festschrift in Honour of Fred Karlsson on his 60th Birthday, 301–309. (Special supplement to SKY Journal of Linguistics 19).*
68. *Sarah Andersen (2014): Sentence Types and Functions. P. 3 San José State University Writing Center.*
69. *Ibid. p. 3*
70. *Matthew S. Dryer (2007):"Word Order", p. 77. in: Language Typology and Syntactic Description Second edition. Volume I: Clause Structure. Cambridge University Press.*
71. *Matthew S. Dryer (2007):"Word Order", p. 76. in: Language Typology and Syntactic Description Second edition. Volume I: Clause Structure. Cambridge University Press.*

72. *Lloyd F. Bitzer (1968):The Rhetorical Situation. P. 302. In: Philosophy and Rhetoric. 1 (January. 1968).*

73. *Armando González Salinas (2001). Op cit. p. 43*

٧٤. د.ناصر بن عبد الله الغالي د. الجمعي بولعراس: التعبيرات الاصطلاحية في لغة الخطاب السياسي العربي ومواجهة الأحداث الدولية. عن ورقة مقدمة لندوة (١٥) في ٢٠/ ٣/ ٢٠١٢م بالمجلس الدولي للغة العربية.

75. *Berit Brogaard: «Context and content: Pragmatics in two-dimensional semantics». P. 114. In: Keith Allan & Kasia M. Jaszczolt (eds.) (2012): The Cambridge Handbook of Pragmatics. Cambridge University Press.*

76. *Biljana Mišić Ilić (1998): Discourse Functions of Word OrF der Changes In English Declarative Sentences. In: The scientific journal FACTA UNIVERSITATIS. Series: Linguistics and Literature Vol.1. No 5. 1998 pp. 301 - 313*

77. *Teun A. van Dijk (1995): Discourse Semantics and Ideology. in: DISCOURSE & SOCIETY. vol.. 6(2): 243-289. On: citeseerx.ist.psu.edu/viewdoc/download?doi=10.1.1.452.6531&rep=rep1...pdf*

78. *Alan Cruse (2006): Glossary of Semantics and Pragmatics. Edinburgh University Press. (adjectives).*

79. *Ibid.*

80. *Alexandra Teodorescu (2006): Adjective Ordering Restrice tions Revisited. In: Proceedings of the 25th West Coast Conference on Formal Linguistics. ed. Donald Baumer. David Montero. and Michael Scanlon. 399-407. Somerville. MA: Cascadilla Proceedings Project. On: www.lingref.com/cpp/wccfl/25/paper1473.pdf*

٨١. انظر جملًا إنجليزية قريبة من هذه في:

Martha Kolln ():Rhetorical Grammar: A Modification Lesson. In: English Journal. November 1996. p. 24. On:

csun.edu/.../Content/.../Grammar/kolln%20rhetorical%20grammar.pdf

٨٢. انظر لمزيد من التفصيل:

Kügler. Frank: Information Structure –basic concepts and its realization: cross-linguistic perspective. On:

www.ling.uni-potsdam.de/~kuegler/docs/2014.Koeln.IS.kuegler.PDF

83. Ibid.

٨٤. ترد قصة المثل في: أبو الفضل الميداني: مجمع الأمثال. تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد– (دار المعرفة – بيروت، لبنان) ص٧٠ (المثل رقم ٣٦١). ولقد تداولت هذه القصة مواقع كثيرة، ومن أحدها (moonbaghdad. arabstar. biz) أخذنا هذا المجتزأ.

٨٥. الاسم النكرة (فرس) حدث له تخصيص بالتركيب الوصفي (اسمه اليحموم) فأصبح مهيَّأ ليكون (مبتدأ؛ أي ليكون الموضوعَ الذي تدور حوله المعلومة المتمثلة في الخبر)

٨٦. انظر: تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص ٣٧٨. عالم الكتب– القاهرة– ١٩٩٣م

٨٧. السابق نفسه. ص٣٧٩